بعض مظاهر التبادل الحضارى في بعض المدن الحدودية في الوطن العربي

دكتور/ محمد صلاح الخولي
مدرس اللغة والتاريخ المصرى القديم
بقسم الآثار المصرية _ كلية الآثار - جامعة القاهرة

اتسمت العلاقات بين معظم دول منطقة الشرق الأدنى القديم (أو المنطقة العربية بالمفهوم الحديث) في كثير من فتراتها في الغالب بطابع الصراع والسعي لفرض السيطرة وبسط النفوذ وارتبط ذلك في كثير من الأحوال بدوافع اقتصادية ومحاولة التحكم في الطرق والمراكز التجارية الهامة أو السيطرة علي المناطق ذات الموقع الإستراتيجي أو الغنية ببعض المواد الخام أو أخيراً نتيجة لضائقات وظروف اقتصادية محلية. غير أنه قد كان هناك من المناطق التي استطاعت بحكم موقعها وطبيعتها أن تستقطب مجموعات مختلفة من السكان (محلية ووافدة) وخاصة في أوقات الاستقرار السياسي وتأخذ تدريجيا في التعايش سلميا مع بعضها البعض.

وتعتبر المناطق أو المدن الحدودية هي خير مكان يمكن أن يتم فيه هذا الامتزاج والتجانس السلمي والالتقاء الحضارى بين تلك التجمعات الشعوبية علي اختلافها ومع ظروف الاستقرار السياسي ، تأخذ هذه التجمعات في التأثر والتأثير في بعضها البعض وتتبادل إبداعاتها في المجالات المختلفة. ويظهر هذا الالتقاء الحضارى في جوانب عديدة مثل العقائد واللغة والكتابة والإبداع الفني وكذلك في العادات والتقاليد. ولقد تخيرت في هذا الصدد بعضا من هذه المدن التي يمكن تتبع هذا الشكل من التبادل والتواصل الحضارى فيها. والمدن موضع الدراسة هنا هي مدن ترتبط بمصر في حدودها المختلفة وربما يمكن أن تؤخذ نموذجا لمدن حدودية أخرى مع دول أخرى من دول المنطقة. والمدن التي يعرض لها البحث هي مدينة "بوهن" ومدينة ثارو (سيله) ومدينة "عتيقة" ثم مدينة جبيل (بيبلوس).

أولا : مدينة بوهن bhn

مدينة بوهن هي إحدى المدن الحدودية الهامة التي تقع عند الحد الجنوبي وتعتبر البوابة الرسمية للحدود بين مصر والسودان . وتقع بوهن علي الضفة الغربية للنيل علي مرمي البصر من الشلال الثاني تقريبا علي بعد ٥ كم من وادي حلفا[١] ويشير جاردنر إلي أنها هي وادى حلفا الحالية[٢] ويرى كلارك أنها في الناحية المقابلة لوادي حلفا علي الضفة الغربية [٣]. غير أن أدق تحديد لموقعها أنها تقع علي

[١] D. Randall- Maciver and C.Wolley, Buhen, in Eckly B Coxe junior Expedition, vol. VIII, philadelphia 1910, p.2.

[٢] A. Gardiner, An ancient list of the fortresses of Nubia, in JEA III (1916), p.190

[٣] S. Clarke, Ancient Egyptian Frontier fortresses, JEA III , p. 161

بعد ٢كم إلي الجنوب من وادى حلفا بالتحديد في مواجهة قرية "دغيم" علي الشاطئ الغربي للنيل علي مسافة ١٠كم شمالاً من النهاية الشمالية للشلال الثاني[٤].

ترجع أهمية بوهن أساساً لكونها مركزاً رئيسياً لتمركز وحدات الجيش باعتبارها إحدى القلاع العسكرية الهامة التي تتولى مراقبة وحراسة البوابة الجنوبية لمصر وفي نفس الوقت مقراً لتأمين التجارة الجنوبية واستلام البضائع والسلع القادمة من الجنوب وتخليصها وإرسالها للعاصمة في الشمال . وكانت السفن التجارية المحملة بالسلع تقوم بالرسو علي أرصفتها الحجرية التي تقوم علي النيل مباشرة. ومن ثم فقد نشأت بوهن من البداية كقلعة ومستعمرة عسكرية ضمن العديد من القلاع العسكرية التي أسسها ملوك الدولة الوسطي لحماية حدود مصر الجنوبية ضد هجمات القبائل الزنجية.[٥]

وترجع أقدم إشارة إلي اسم بوهن الذى كتب تارة بمخصص البلاد الأجنبية 𓊨 وتارة بمخصص المدينة ⊗ إلي عصر الدولة الوسطي ، حيث جاء أقدم ذكر لها علي لوحة لسنوسرت الأول عثر عليها في المعبد الشمالي في هذه المدينة[٦] (لوحة ١ شكل ١)كما جاء الاسم بكتابته الكاملة في برديات الرامسيوم (أواخر الأسرة العشرين) بهذا الشكل 𓊨𓅱𓏏𓄿𓊨 [٧].

ورغم هذه الإشارة المتأخرة للاسم إلا أن قدم في هذه المدينة الهامة يرجع ربما إلي ما قبل عصر الدولة القديمة فقد كشف فيها العالم الأثرى "إمرى" عن موقع مستعمرة ومدينة سكنية من عصر الدولة القديمة عثر فيها علي أفران لصهر النحاس وبردى وأوان وأختام تحمل أسماء معظم ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة مثل خفرع ومنكاورع ووسركاف وساحورع ونفر إيركارع وني أوسررع ومن المحتمل أن يكون استيطان المصريين لها سابقاً علي ذلك بكثير[٨].

بلغت بوهن في الواقع أوج ازدهارها في عصر الدولة الوسطي مع عودة ملوكها إلي الاهتمام بالنوبة بعد أن استقرت الأوضاع السياسية في مصر بنهاية عصر الانتقال الأول. وقد بدأ هذا الاهتمام بنشاط عسكرى وسلسلة من الحملات الحربية استهدفت إعادة الاستقرار للمنطقة وتثبيت الوجود المصرى بالنوبة واستهل منتوحتب الثاني هذا النشاط بحملات قوية ومؤثرة ذكر لنا تفاصيل بعضها شخص يدعي "توحمانون" في نقش له عند إبسكو. ويبدو أن" توحمانو" هذا كان من النوبة ثم أصبح جندياً لدى منتوحتب الثاني. ثم واصل ملوك الأسرة الثانية عشرة بعد ذلك هذا النشاط وبشكل متسع وأصبحت النوبة مركز اهتمامهم الأول فاتخذوا سلسلة من التدبيرات العسكرية والتحصينية لمواجهة التهديدات المستمرة من قبل كوش في النوبة العليا بدأت بمجهودات أمنمحات الأول ، الذى قضى علي تهديدات القبائل الجنوبية ووصل بحدوده قرب كورسكو ثم أتى سنوسرت الأول وقضى علي نفوذ

---

[٤] H. Smith, The Fortress of Buhen (The Inscription vol.) , Egypt Exploration Society II, 1976, p. 1.

[٥] Maciver & Wolly, Op:cit., W. Emery, Egypt in Nubia, London 1965, p. 148 f.

[٦] Maciver & Wolley, Op.cit.

[٧] Gardiner, Op.cit., p. 185.

[٨] Emery, Op.cit., p. 114.

القبائل الأربع هناك وثبت حدوده عند بوهن.[٩] ثم قاموا بوضع نظام دفاعي فريد يتكون من سلسلة من القلاع والحصون تعد من أعظم التحصينات الحربية في التاريخ القديم بلغ عددها ١٧ حصناً بدأها سنوسرت الأول وأكملها خلفاءه من بعد وكان حصن بوهن هو أهمها حيث كانت توجد به مركز القيادة الرئيسي لحاميات الحصون الأخرى.

وكان لهذه الترتيبات الأمنية والقوامين التي سنها سنوسرت الثالث والتي نظم من خلالها تحركات القبائل الزنجية ومعاملاتهم وقصرها علي النواحي التجارية والتنقلات السلمية والمعروفة بمرسوم سمنة والذى سجله علي لوحة الحدود الشهيرة عند سمنة ، كان لذلك أثرة في استقرار الأوضاع في النوبة العليا والسفلى وازدهار حضارة المجموعة "جـ"[١٠]. وفي خلال عصر الانتقال الثاني ضعف النفوذ المصرى في النوبة وفي نفس الوقت تزايدت معه قوة دولة كوش التي استطاعت أن تفرض نفوذها علي النوبة السفلي. غير أن هذا التغير في الأوضاع السياسية لم يكن له أى تأثير علي علاقات أهل النوبة مع المصريين بل أن هذه العلاقات أصبحت أكثر توطداً[١١] ويفترض ماكيفر أن بوهن يبدو أنها قد هجرت لبعض الوقت علي أساس تراكم الرمال والردم علي آثار المرحلة السابقة[١٢] ،وإن كان ما عثر عليه من آثار ولوحات جنزية من تلك الفترة يؤكد استمرار الحياة فيها كما سيلى ذكره.

وفي الدولة الحديثة استردت بوهن سابق ازدهارها حين عاد ملوك مصر إلي توجيه اهتمامهم بالنوبة بعد تخليص مصر من حكم الهكسوس واستقرار الأوضاع بها وتم في هذه الفترة تمصير النوبة تماماً وتعيين حاكم ثابت عليها ممثلاً للملك وهو المعروف بنائب الملك في كوش وقد شيد في بوهن خلال تلك الفترة المعبدان الرئيسيان في بوهن الشمالي لأحمس الأول وأمنحتب الثاني والجنوبي لحتشبسوت وتحتمس الثالث. واستمرت علي ذلك خلال عصور الدولة الحديثة وحتى أواخر الأسرة العشرين، وهناك احتمال أنها هجرت بعد ذلك استنادا إلي عدم وجود نقوش أو مقابر أبعد من الأسرة العشرين، وكان اسم رمسيس الخامس آخر اسم ورد بها، غير أن المعابد لم تهجر غالباً استناداً إلي وجود اسم طهرقة عند مدخل قدس الأقداس (في المعبد الجنوبى) وبعض آثار من العصر الروماني[١٣]. وكانت مدينة بوهن محاطة بسلسلة من القلاع أو الحصون بعضها منحوت في الصخر والبعض شيد بالطوب في سور يحيط بها متخذاً شكل مستطيل يمثل النيل ضلعه الشرقي، ويتكون السور من جدران مزدوجة ويحيط به في الأماكن غير الصخرية بعمق ٣,٥ متر و عرض ٦ متر. وللمدينة مدخلان كلاهما من ناحية النهر أحدهما عند مدخل السور الشمالى والآخر عند مدخل السور الجنوبي وفي وسط المدينة داخل السور يوجد المعبدان الرئيسيان يقع أكبرهما إلي الجنوب وينسب إلي حتشبسوت وتحتمس

---

[٩] Clarke, Op.cit., p. 156.; Emery, op,cit., p. 141 f.

[١٠] Emery, Op.cit., p. 156 f.

[١١] D. O' Connor, Ancient Nubia, Pennsylvania 1993, p. 41

[١٢] Maciver & Wolley, Op.cit.,

[١٣] Ibid. p. 6, 17.

الثالث ، وإن كان ما يدل علي أنه يرجع إلي عصر الأسرة ١٣ (سنوسرت الاول) أما المعبد الثاني (الشمالي) فينسب إلي أحمس الأول وأمنحتب الثاني وهو أيضاً مشيد في الغالب علي أنقاض معبد أقدم من عصر الأسرة ١٢ (لوحة ١ شكل ٢) [١٤]. وكان هذا المعبد مكرساً لعبادة حورس رب بوهن [١٥] وهو يعتبر المعبد الوحيد المتبقي لحتشبسوت إلي جانب معبد الدير البحري وإلي جانب اسمها توجد خراطيش تحتمس الثالث الذى قام بمسح صورها وأسماءها [١٦]. وبجانب حورس رب بوهن كان هناك حورس آخر يعبد بدرجة أقل هناك وهو حورس رب الصحراء أو البلاد الأجنبية والذى عبد بشكل منفصل عن حورس بوهن كما دل علي ذلك نقش لابن الملك في كوش "توري" وهما في الغالب متصلان وإن كان الأول أكثر شيوعاً [١٧]. ومعروف أنه كان هناك أربع هيئات لحورس عبدت في النوبة [١٨].

وأهمية المعبد أيضاً في سلسلة المناظر والنقوش التي سجلها أبناء الملك في كوش ومن بينهم من عرف لأول مرة من هناك مثل "خع أم تير" الذى خدم في عصر مرنبتاح وقد وجد أيضاً اسم طهرقة علي عمودين شيدهما بهذا المعبد [١٩] مما يؤكد استمرار عمارة المعبد حتى العصر الأثيوبي.

وبعد فمن الطبيعي والمنطقي أن تصبح مدينة لها مثل موقع بوهن وأهميتها العسكرية والتجارية مركزاً للاتصال الحضارى والثقافي بين أهل مصر والنوبة وهو ما كان بالفعل ، ومن ثم نستعرض فيما يلي بعض جوانب هذا التقابل الحضارى . كان من بين الباحثين الذين اختصوا بلاد النوبة والوجود المصرى وأثرة الحضارى فيها بالدراسة الباحث "دافيد أوكرونر" إلا أن وجهه نظره في هذا الصدد لا تتصف بالموضوعية بل وتتسم بكثير من التجني علي الحضارة المصرية وأثرها ، هناك فهو يصور الوجود المصري في النوبة السفلي والعليا علي أنه وجود استعمارى عاش المصريون فيه بمعزل عن أهل النوبة وأن أهل النوبة كانوا رافضين للأثر الحضارى المصرى وسعوا في فترات عديدة إلي التحرر من هذا التأثير فذكر فيما ذكر أن دول العالم القديم (ومن بينها مصر) كانت استعمارية الطابع ومن ثم فإن النوبيين لم يكونوا مضطرين إلي تبني الحضارة المصرية حتى في بعض الأوقات التي كانوا خاضعين فيها للحكم المصرى وأن تبنيهم الشامل للحضارة المصرية حدث حقيقة في الفترة التي سيطر النوبيون فيها علي مصر خلال الأسرة ٢٥ * وأن النفوذ المصرى في النوبة قبل العصر البرونزى المتأخر كان محدوداً ودل ذلك علي

---

[١٤] Ibid . ,p.5;Clarke, Op.cit., p.162.

[١٥] Maciver & Wolley, Op.cit., 10,13.

[١٦] Maciver & Wolley, Op.cit., 10,13

[١٧] Säve- Soderberg, A Buhen stelae from the second Intermediate Period, JEA 35 (1949) P. 51, note c.

[١٨] LÄ, I, 880.; H. Smith, Op.cit., p. 76.

[١٩] Editiorial Forward in ; JEA 47 (1961), p. 2.

* ولو رجع إلي لوحة بعنخي ورأى كيف اتي بعنخي إلي مصر وهو مشبع بمظاهر الحضارة والعقيدة المصرية من قبل أن يستولي علي الحكم واحترامة لحرمة الهتها ومعابدها إلي الحد الذى أمر جنودة بالتطهر قبل دخول طيبة لاختلف راية هذا.

أن النوبيين كانوا مختلفين عن الحضارة المصرية ورافضين لها، بل وفي حالات النوبيين المتأثرين بالحضارة المصرية (مما لهم أسماء مصرية، والذين ورد ذكرهم في مصادر من أواخر الدولة القديمة "المجموعة جـ ومجموعة كرما المبكرة" ذكر أنهم قلة ونسبتهم ٦،٧ في المائة من بين مئات النوبيين مما يدل علي أن هذا التأثير ليس فقط محدوداً وإنما هي مجرد حالات فردية[٢٠] .

ثم أضاف أخيراً أن خريطة النوبة قد تغيرت تماماً بعد أن سيطر المصريون علي النوبة في عام ٢٠٠٠ (الأسرة ١٢) وامتلأت منطقة واوات بسكان المجموعة (جـ) وأصبح أهل النوبة بالتبعية خاضعين للنفوذ المصرى ولم يكن مسموحاً لهم بأن يعيشوا في الحصون المصرية أو المدن المحصنة المصرية[٢١] .

ويأتي الرد علي هذا الكلام المتحيز من خلال بعض الأدلة التي أضطر هو ذاته إلي الإشارة إليها ، فمثلاً حتى في كرما التي ذكر أن التأثير المصرى فيها كان جزئياً أو محدوداً نجد أن ما عثر عليه في المقابر الملكية فيها من المرحلة الكلاسيكية من أثاث جنزي وأواني حجرية للدهن والكحل وأمواس من البرونز وسيوف قصيرة جميلة من البرونز يظهر فيها جميعاً التأثير بل والأصل المصرى[٢٢]

وعن إشارته السابقة بأن النوبيين لم يكن مسموحاً لهم بأن يعيشوا في الحصون المصرية عاد هو في موضع آخر وذكر أن الجماعات المصرية ممن عاشوا في هذه المدن من موظفين وجنود أصبحوا مع ضعف الحكومة المصرية (أواخر عصر الدولة الوسطي - أسرة ١٣) وعدم إمكانية الاعتماد عليها في الدفاع عنهم أصبحوا أكثر استقلالاً واتسمت علاقاتهم مع سكان "المجموعة جـ" في النوبة السفلي بطابع التعاون أكثر من الاستعمار[٢٣] . وكيف يتأتي هذا لو لم يكونوا يعيشون في نفس المكان، بل وأنه من المعروف أن هذه المدن المحصنة كانت مليئة بالجنود من الوطنين تحت قيادة ضباط مصريين[٢٤] .ومن المنطقي أنهم كانوا يعيشون في نفس المكان. بل وحتى في عصر الدولة القديمة هناك من الشواهد التي وجدها إمرى في المستعمرة التي كشف عنها تثبت أن حضارة "المجموعة جـ" ممثلة وإن كان ذلك بشكل محدود. في بوهن[٢٥] وفي موضع آخر ذكر أنه خلال الأسرة ١٣ (نفس الفترة) انتقل الحكام النوبيين في "المجموعة جـ" المرحلة الثالثة للإقامة في المدن المصرية المحصنة وهناك تبنوا اختيار الطابع المصرى ودفنوا تبعاً للتقاليد المصرية في الجبانات المصرية وتبعهم بقية سكان "المجموعة جـ" الذين أصبحوا هم أنفسهم علي صلة وثيقة بالمصريين وتأثروا بالحضارة المصرية تماماً[٢٦] .

---

[٢٠] D.O`Conner, Op.cit., p. 56.

[٢١] Ibid. p. 37.

[٢٢] Ibid. p. 52.

[٢٣] Ibid. p. 39.

[٢٤] S.Clarke, Op.cit., p. 157.

[٢٥] W. Emery, Op.cit., p. 114.

[٢٦] D.O`Conner, Op.cit., p. 41.

وبعيداً عن هذه الأمثلة السابقة التي تفند بيده ما أبداه من أراء سابقة فإن هناك العديد من الأمثلة والأدلة الأثرية التي تؤكد التجانس الحضارى والاتصال الثقافى بين المصريين وأهل النوبة وبالأخص في منطقة بوهن. كان من بين ما كشفت عنه البعثة الأمريكية (تحت إشراف ماكيفر) في حفائرها في بوهن عدداً من الجبانات جبانة من الدولة الحديثة (H) وجبانة من الدولة الوسطى (K) ثم بقية جبانة الدولة الحديثة (J) ولقد تنوعت أشكال مقابرها ما بين بئر دفن فوقة مقصورة صغيرة ملونة يعلوها سقف بشكل القبو وهريم ومقابر صخرية تتكون من درج يؤدى إلي حجرات يحمل سقفها عدد من الأعمدة تشبه المقابر الطيبية ذات الأبهاء ، ومقابر فقيرة عبارة عن مجرد آبار منقورة سطحياً في الصخر ، وقد عثر فيها علي ٣٤٦ هيكل مما يدل علي كثرة من كانوا يسكنون فيها (العدد يزيد عن ذلك) . [٢٧] وقد عثر في هذه المقابر علي العديد من الأواني من الألبستر والأبسيديان وأواني الكحل والعديد من الجعارين والفخار بأعداد كبيرة واكثر من الأسرة ١٨ وواضح أنه مصنوع بالقرب من بوهن مما يدل علي وجود صناعة محلية وبالأخص للفخار ذو الحافة السوداء. ومن الأشياء الملفتة قطعة من إناء فخارى واضح أنها ذات أصل إيجي وأنها جاءت من منطقة ذات تأثير مينوى[٢٨] مما يدل علي امتداد التبادل التجارى حتي هناك إن لم تكن مجرد منقولة مع مواطنين مصريين . ومن الأدلة الهامة التي نتعرف عليها من هذه الجبانة أنه قد عثر في الجبانة رقم (J.35) علي دفنات نوبية خالصة غير مصرية وعثر معها علي فخار ذو حافة سوداء منفذ بأسلوب افريقي وغير أصلي[٢٩]. وأهمية ذلك في أن يثبت أن هناك من أهل النوبة من عاش في بوهن ودفن في جبانتها ولم يمنعه وجوده بين المصريين من تنفيذ صناعته بأسلوبه الأفريقي.

ثم هناك دليل أكثر أهمية تقدمه لنا المقبرة رقم (K 24) من الأسرة ٢٦ حيث عثر في حجرة الدفن الرئيسية بها علي سبع دفنات تقريباً (أو أكثر) متجاورة في توابيت خشبية منها رقم ٣ وهو خاص بامرأة ذات ملامح زنجية (أنف زنجي وشعر مضفر في خصلات) بينما الهيكل الخامس ذو ملامح وأنف عادية والسابع لطفل[٣٠]، ولعل هذا يدل علي أن هذه المقبرة – خاصة بأسرة تتكون من عناصر مصرية وإفريقية.

ومن اللوحات القليلة التي عثر عليها في جبانة بوهن ما يدل علي أن هناك كثير من المصريين عاشوا هناك واستقروا تماماً بأسرهم وأنهم مع هذا البعد فقد حافظوا علي المستوى الحضارى المرتفع بقدر لا يقل عن نظيرة في شمال الوادى ومن بين هؤلاء شخص حمل لقب المفتش علي مائدة القرابين الملكية وأبوه هو الوكيل عامو (الآسيوى) وأمه ربه المنزل نححوى، أما زوجته فاسمها [illegible]

[٢٧] Maciver & Wolley, Op.cit.. p. 129.

[٢٨] ibid., p. 131,134.

[٢٩] ibid., p. ,135.

[٣٠] ibid., p. ,206.

ربما باباى ولعله اسم أجنبي [٣١].

ومنهم من حمل لقب قاضي نخن مثل "سبك إمساف" "وعامو" "وساعنوقت" [٣٢] ونتعرف من بعض الآثار الأخرى علي غيرهم من المصريين الذين عاشوا هناك وعن علاقاتهم بالنوبيين ، مثال ذلك تمثال صغير عثر عليه حول المعبد الشمالي للكاتب أمنمحات وهو يقدم قرباناً لحورس رب بوهن وسجل نسبه عليه : [٣٣]

"الكاتب أمنمحات الذي أنجبه عظيم "تاخحت" (منطقة بالنوبة) "روسو" وولدته ربه البيت "رونا" ، ويبدو اسم الأب روسو واسم الأم رونا أنهما اسمان أجنبيان وإن صح ذلك فقد تكون هذه أسرة نوبية تمصرت وسمت الابن علي اسم إمنمحات الأول الذى ظلت ذكراه مستمرة هناك .

وهناك تمثال آخر أسمه أحمس ذكر عليه أسمه وأسم أسرته:

"أحمس المولود من "تتي " إبنه "بادو" [٣٤] ،وواضح أن أسمه وأسم أمة وكذلك أبوه (القاضي أحمس)هي أسماء مصرية غير أن أسم جده لأمه (بادو) يبدو في الغالب اسما غير مصري.

ومن بين الأشخاص العديدين الذين عثر علي نقوش لهم في المعبد الجنوبي سائس المركبة الأول(kdn لدى سيبتاح واسمه 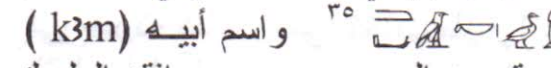 [٣٥] واسم أبيه (k3m) ربما يكون هو أيضا أجنبي ولعل هذا ما يفسر قدومه إلي بوهن بدون مرافقه الملك وتقديمه القربان إلي حور رب بوهن.

ولقد نعمت بلاد النوبة خلال عصر الدولة الوسطى بدرجة كبيرة من الاستقرار والازدهار وكان ذلك نتيجة لمجهودات سنوسرت الثالث وخلفاءه والنظام الدفاعي المحكم والقوانين الصارمة التى وضعها وقصر فيها تحركات القبائل الزنجية علي الأغراض التجارية والسلمية وأمر في المقابل بحسن معاملتهم كل شئ طيب لهم وهكذا تمكن أهلها من أن يعيشوا في سلام وهذه الفترة بلغت حضارة المجموعة الثالثة ذروتها دون تأثير من الحضارة المصرية وبلغ أهلها درجة عالية من الثراء [٣٦] وقد عكس ما عثر علية من أثار قيمة في جبانة الدولة الوسطى والدولة الحديثة مثل العقود المصنوعة من الذهب و الأمتست والأساور الذهبية وأدوات الزينة الأخرى والأسلحة ما بلغة أهل مدينة بوهن من ثراء ورخاء وأنهم قد حلفظوا علي المستوى الحضاري المرتفع ،فكانت منتجاتهم السابقة في مستوى فني لا يقل عن نظائرها من نفس الفترة في مصر وهو مستوى حضاري ملفت في مدينة كان ينظر إليها كمجرد مدينة حدودية غير هامة [٣٧].

---

[٣١] ibid., p. ,180.

[٣٢] ibid., p. ,182-184

[٣٣] ibid., p. ,111.

[٣٤] ibid., p. ,111.

[٣٥] ibid., p. 38.

[٣٦] Emery,Op.cit,p.156 ff .

[٣٧] Maciver&Wolley,op.cit.,p.195.

ومن الأشياء الجديرة بالذكر من بين ما عثر علية رأس سهم من الحديد عثر عليها في إحدى مقابر جبانة الدولة الوسطى (K32) وتعتبر أقدم أداه من الحديد عثر عليها حتى الآن في العالم أن صح تأريخ هذه المقبرة (أسرة ١٢) وهي تؤكد ان صناعة الحديد قد بدأت أواسط أفريقيا وليس في آسيا الصغرى[٣٨]. ومن الدلائل الأخرى التى تثبت حدوث التبادل الحضاري بين أهل مصر و أهل النوبة وتبنى كل طرف مظاهر حضارية من الطرف الآخر رداً علي ما ردده "أوكونر" أيضاً من خلال ما أشار إلية من أن هناك جماعات من النوبيين قد استقرت في مصر وتأثرت بالحضارة المصرية مثل جماعات القواسين (bḏtiw) النوبيين الذين عاشوا في منطقة جبلين خلال عصر الانتقال الأول ،فقد تزوجوا من مصريات ودفنوا تبعاً لعادات الدفن المصرية ومع الوقت لم يعد ممكنا تمييزهم عن المصريين ونفس الشيء بالنسبة لجماعات المجايو الذين استقروا في مصر خلال عصر الانتقال الثاني وأصبحوا في النهاية مصريين في أسلوب حضارتهم وعادات الدفن[٣٩].

وفي الناحية المقابلة نعلم أن حاكم أسيوط الشهير حعبى جفاى (جفاى حعبى) قد أقام في كرما حيث كانت توجد مستعمرة مصرية (إنبو إمنمحات) وأنه قد مات هناك واستحب أن يدفن هناك تبعاً للتقاليد المحلية وعثر عليه (ما تبقى من رفاته) في مقبرته هناك والتي اتخذت طرازاً غريباًمن العمارة مستلقياً علي سرير تبعاً التقاليد أهل النوبة ويحيط بجثة أجساد الحريم والخدم والأتباع الذين دفنوا معه. وعثر في هذه المقبرة علي تمثال له وآخر لزوجته "سننوى" ويبدو هذا الأمر غريباً في الوقت الذي نعلم بأن له مقبرة رائعة في أسيوط وانه رغب في الدفن بهذا الأسلوب في الوقت الذي نعرف لهفة المصري الشديدة في أن يدفن في بلده ونفور المصريين من عادات الدفن الأجنبية [٤٠]ونتذكر في هذا الصدد ما فعله سنوحي من نفس الفترة لكي يعود ويدفن في وطنه ولا تفسير لهذا إلا ارتباط الرجل وتشبعه بتقاليد وعادات أهل النوبة ومن المستبعد ان يكون ذلك بسبب وفاته أثناء تأدية عملة [٤١].

ثم نلحظ أن التأثيرات الحضارية المصرية قد ازدادت خلال عصر الانتقال الثاني وقبله (في الأسرة ١٣)ودل علي ذلك تبنى أهل المجموعة الثالثة لعادات الدفن المصرية ربما بسبب نزوح عدد من المصريين إلي هناك من جراء غزو الهكسوس لمصر ، مثال علي ذلك دفن المتوفى في وضع القرفصاء علي جانبه الأيمن ووجهه للغرب ووضع لوحة حجرية للقرابين [٤٢]وليس كما يري أوكونر من أن ذلك قد تم من بعد انتقال الحكام الكوشيين واتباعهم من بعدهم للعيش في المدن المصرية المحصنة خلال فترة الضعف ويصور أوكونر الأمر بشكل مختلف انه في خلال عصر الانتقال الثاني أصبحت مصر مقسمة بين أسرة كنعانية (أسرة ١٥) متجاهلاً (تسميته الهكسوس) وأسرة في طيبة (١٧) في هذا الوقت مدت كوش المتزايدة

---

[٣٨] Ibid., p. 193 f.

[٣٩] D.Oconner, op. Cit.. P.56.

[٤٠] Emery, p. 154 .

[٤١] Ibid.

[٤٢] Ibid.

نفوذها وخضع أهل النوبة المتمصرين أو المصريين في النوبة السفلي لهم وقد بدأ المصريون التابعون للحاكم الكوشي في وضع النقوش باسمه[٤٣] ،وهو ما سنعود إليه فيما بعد .

وأياً كانت الأسباب والملابسات فمن الثابت أن الاتصال الحضاري والتقارب بين المصريين وأهل النوبة في بوهن وغيرها قد تزايد وارتبط معه تزايد تمسك أهل النوبة وتبنيهم للعادات والتقاليد والعقائد المصرية وظهر هذا الاهتمام حتى من قبل الحكام الكوشيين أنفسهم وفي نفس الوقت تقبل المصريين هناك العمل لدى الكوشيين ولم يمنعهم ذلك من الإشادة بمجهوداتهم وربما في بعض الأحيان اكثر من الإشادة بمجهودات الحكام الكوشيين أنفسهم .

ونذكر منهم القائد "سبدحور " الذي ذكر في نقش علي لوحة وجدت في بوهن وموجودة الآن في فيلادلفيا " أني قائد شجاع من بوهن ولم يفعل قائد ما فعلته فقد شيدت معبدا لحورس سيد بوهن فسر لذلك الحاكم الكوشي" ، ودل هذا النقش علي اهتمام حكام كوش بالعبادات والعقائد المصرية وتقبلهم لهم بل والاهتمام بإنشاء المعابد لها[٤٤] .

وكعادته تناول أوكونر هذه اللوحة التي أعتبرها اقدم لوحة تسجيل لحاكم أفريقي خارج مصر– من زاوية معينة أراد أن يدلل بها علي خضوع المصريين النوبيين لحكام كوش وانهم بدءوا يضعون النقوش باسم الحاكم الكوشي التابعين له فأشار في هذا السياق إلى لوحة " سبدحور" ذاكراً انه قام بتجديد معبد حور في بوهن بتكليف من سيده حاكم كوش [٤٥]،و أشار إلى أن ما يقرب من ٢٥% من السكان المصريين والأجانب كانوا يخدمون حكام كوش [٤٦]. وواضح انه حمل النص أكثر مما يحتمل ، فلم يحدث أن أشار سبد حور إلي حاكم كوش بلفظ "سيدي" بل إنه حتى لم يتوقف أمام عدم اهتمام "سبدحور" بذكر اسم هذا الحاكم الكوشي وكل ما قاله:

قد قمت ببناء معبد حور سيد بوهن إرضاءً / إسعاداً لحاكم كوش [٤٧] "وهو أمر ملفت الا يذكر أسم الحاكم الذي عمل له وبتكليف منه .

هذا بالطبع لا يمنع من أن هناك موظفين آخرين من تلك الفترة اعترفوا بولائهم و عملهم في خدمة الحاكم الكوش مثال ذلك صاحب لوحة الخرطوم رقم ١٨ المدعو "كا" وهو أيضا من بوهن وجاء علي لسانة
وذكر أسم هذا الحاكم الكوشي وهو Ndḥ وذكر ولاءه له، ونلفت النظر هنا إلي إشادته بنفسه "الخادم القوى".

هذه الفترة التي أشير فيها إلي حكام كوش المستقلين هي تقريباً الفترة المعاصرة لعصر الأسرة ١٧ وفترة الصراع مع الهكسوس في أيام كامس وهي فترة

---

[٤٣] D' Oconner, Op.cit.,p.41.

[٤٤] Emery, op.cit. , 158 f.

[٤٥] D'Oconner ,Op.cit., p.40 f.

[٤٦] Ibid ., p. 56, f.

[٤٧] Săve . Soderberg, op. Cit., p. 54 f., fig 2.

قد استمرت جيلا واحد ويفترض البعض ان الحاكم الكوشي "نجح " المشار إليسة من قبل يحتمل أن يكون هو ذلك الحاكم الكوشي الذي كتب آلية ملك الهكسوس أبوفيس يستعديه علي كامس ويدعوه للتحالف معه[٤٨] لكن هذا غير مؤكد ويبدو مستبعداً[٤٩].

علي أى حال هذه اللوحات وغيرها تؤكد عمل المصريين من أهل الخبرة الإدارة في خدمة حكام كوش خلال عصر الانتقال الثاني وتؤكد في نفس الوقت أن الحكام الكوشيين قد أولوهم الثقة و اعتمدوا عليهم اعتماداً كاملاً في شئون الإدارة والمهام الصعبة، وهذا يفسر إشادة هؤلاء الموظفين بأنفسهم وأدائهم ولقد تنوعت أعمالهم ووظائفهم فكان منهم القواد العسكريين (قادة الحصون) وقادة السفن (مثل نفرو من الأسرة ١٣ ومثل المشرفين علي الخزائن والمسئولين عن إدارة المترجمين وغيرهم مع تعدد مجالات نشاطهم الوظيفي[٥٠] . بل ونعرف من المصادر ان الوظائف الهامة في كوش (خلال عصر مملكة كوش المستقلة كانت جميعها في يد أسرة مصرية واحدة قامت بتكليف من حكام كوش بكل المهام الهامة ومنها بناء المعبد[٥١]

من ناحية أخري فيما يتعلق بالاستقرار الكامل للمصريين في بوهن و النوبة بصفة عامة ، فقد دلت المصادر علي وجود أسر مصرية استقرت في أجيال متصلة وتولي أفرادها شغل المناصب الهامة ونذكر منها أسرة ددوسبك وزوجته نفت وكذلك أسرة سبك إمحب والتي ينتمي إليها كل من سبدحر والمشار إلي لوحتهما من قبل[٥٢] .

ونعرف أيضا أنه قد كان لهم ممتلكاتهم الخاصة من أراضي زراعية وغيرها وقد جاءت إشارة إلي ذلك من لوحة عثر عليها في معبد رمسيس الثاني في العمرة غرب (علي بعد ١١٥ ميل جنوب وادي حلفا) جاء فيها إقرار من أم وابنها علي إعطاء نصيبها من تركة الأب لابنة لها عل أن تقوم برعاية أمها في الشيخوخة[٥٣] .وكما نعرف أن من المصرين من كان يمتلك ارض في الجنوب يعهد بزراعتها لأحد المزارعين من أهل المنطقة مثلما كان من صاحب ارض (برديه برلين ٨٣٢٥) كان قد الغي عقد تأجير أرضة لفتي اسمه "بامنح إن كاش " يدل اسمه علي أنه من النوبة (لعلة يعني مليح النوبة) ثم عاد صاحب الأرض وكلفه بها مرة أخري٧)[٥٣] مكرر.

ومن مظاهر هذا الاتصال الحضاري أيضا ما ذكره بعض الباحثين من أن حكاما أثيوبين قد قلدوا الألقاب الملكية المصرية فإتخدوا ألقاب الفراعنة وأسماء مصرية ولا يعرفهم التاريخ المصري. وذلك من خلال ما جاء في بعض كتابات علي الحجر

---

[٤٨] Ibid.p.57.

[٤٩] Smith . op. Cit., 73 f.

[٥٠] Ibid ., p.69 ff.

[٥١] Ibid ., p.76 .

[٥٢] Ibid ., p.72 ff.

[٥٣] F. Fairman , Preliminary Report on the Excavation at Sesebi , JEA 24 (1938)P.155.

[٥٣] S.Allam, Jmplications in the hieratic p. Berlin 8325, Festschrift Goedicke, Texas 1994, p.2.

وفسر ذلك بأنهم في الغالب من المصرين الذين ادعوا لأنفسهم السلطة الملكية خلال فترات ضعف الحكومة المصرية[٥٤]، ونسي ما ذكره هو من قبل من انتقال الحكام الكوشيين واستقرارهم في المدن المصرية مع ضعف الحكومة المصرية خلال عصر الانتقال الثاني .

ونسوق هنا دليلاً مضاداً لذلك ومن نباتا حيث يفترض هو أن التأثير الحضاري المصري كان محدوداً في كرما ، وذلك فيما جاء من نقوش علي بناء صغير كان يعرف خطأ باسم OMPHALOS ، عثر عليها "ريزنر " عند قدس الأقداس في معبد أمون بجبل برقل ، نباتا ، وهو عبارة عن كتله مخروطية الشكل ارتفاعها ٦١ سم وقطرها ٥٢سم وقد تبين أنه ليس إلا ناووس صغير كان يوضع بداخله تمثال صغير للإله وكان يوضع في المعبد تقدمه من الملك [٥٥] .ومن بين النقوش الهامة التي زين بها هذا الناووس نجد علي جانب المدخل إسم الملك مقدم الناووس موضوعا داخل خرطوش وهو "أماني خانيوبل " والذي أتخذ في نفس الوقت نب ماعت رع (أمنحتب الثالث). ولم يكن هذا الملك هو الوحيد الذي تلقب باسم أمنحتب الثالث بل هناك أخر هو " أما نيتين ميميزي" [٥٦].

ولم يقتصر التشبيه بالملكية المصرية عند اتخاذ الأسماء بل أيضا في مظاهرها إذ نري الملك الأول المصور علي الناووس وهو يرتدي نفس النقبة الملكية القصيرة ويتدلى من خلفه الذيل المعروف ، وفوق رأسه غطاء رأس يتوجه حيتى الكوبرا رمزا لمصر العليا والسفلي، ثم نرى آلهة بشكل اللبؤة يعلو رأسها قرص الشمس لها يدين مجنحتين تمسك بإحداهما ريشه العدالة ماعت وبالأخرى تحمي الملك الذي يتقدم أمامها رافعا يديه في وضع التعبد للإله الموجود بداخل الناووس . هذه الآلهة ترمز 'إلي " إيزيس " (لوحة٢). وفي نفس الوقت الذي يقدم فيه هذا الأثر الهام الدليل علي التأثير القوى للحضارة المصرية في مملكة نباتا وتبنيها للتقاليد والأسماء الملكية المصرية فإنه يقدم لنا أيضا الدليل علي الحفاظ علي المحلية والتقاليد النوبية فالشيء الملفت ان هذا الناووس لم يتخذ شكل ناووس مصري من الأشكال المعروفة وإنما هو يمثل – كما أدرك "شتيندورف" عن حق –شكل كوخ أفريقي محلي ذو شكل مخروطي مصنوع من القش والألياف مثل تلك الأكواخ الموجودة حتى الآن عند قبائل البانتو ومثل تلك التي صورت في معبد الدير البحري تماما كما رآها المصريون في بلاد بونت [٥٧] . وكأنما جاء هذا الشكل للناووس ليقدم نموذجا علي امتزاج طابع الحضارة المصرية مع مظاهر الحضارة النوبية المحلية .

ونقطة أخيرة نضيفها لصالح تأكيد بعض جوانب الطابع المحلي في حضارة النوبة وامتزاجها وتداخلها مع مظاهر حضارية مصرية. وذلك فيما نعرفه من أن الالهة "إيزيس " قد عبدت وقدست في بلاد النوبة إلي جانب الإله حوس وقد كرس المعبد الجنوبي في بوهن لعبادتها علي حين عبد حورس بوهن في المعبد الشمالي ،

---

[٥٤] D. O conner ., op. Cit., p. 56 f.

[٥٥] G . Steindorff , The so . called Omphalos of Napata in JEA 24 (1938) p.147, 150.

[٥٦] Ibid , p. 149 f.

[٥٧] Ibid , p. 150 f .

ونعرف أنها اعتبرت سيده كل بلاد مصر العليا (ومن بينها النوبة، حسبما جاء علي لوحة من عصر تحتمس الرابع من بوهن) كذلك وصفت في معبد بيت الوالي بسيده النوبة ؛ ألا أن يلاحظ هنا أن إيزيس التي عبدت في النوبة وبوهن بصفة خاصة كانت تصور وعلي رأسها " العقرب " فاعتبرت لذلك رامزاً لإيزيس – سلكت [٥٨] .

لكنه في نفس الوقت هناك ما يشير إلي أن الصورة لإيزيس برمز العقرب لا علاقة لها بسلكت وذلك علي أساس مايلي:

أن ايزيس قد وردت وعلي رأسها العقرب لأول مرة في العصر الأسرة ١٨ علي حين أن ارتباط سلكت بشكل العقرب تأكد لأول مرة منذ عصر الأسرة ١٩ ومعني ذلك أن رمز العقرب علي راس إيزيس في الأسرة ١٨ لا علاقة له بسلكت ومن ثم فالأقرب للاحتمال تفسيراً لذلك أن يكون لهذا تفسير محلي ، ونعرف بالفعل أن تصوير العقرب هو سمة معروفة في النوبة منذ عصر ما قبل الأسرات ومعروفة أيضاً في كرما منذ العصر الكلاسيكي [٥٩] وعلية يمكن افتراض أن إيزيس حينما عبدت في النوبة فقد اتخذت شكلاً أو طابعًا محليا يتفق مع العقائد المحلية فاتخذت شكل العقرب واختصت به عبادتها في النوبة دون شمال الوادي .

ولعل في هذا وما أوردناه من قبل ما يقدم دليلاً علي امتزاج التقاليد والمظاهر الحضارية المصرية والنوبة في بوهن بصفة خاصة والنوبية بشكل عام .

ثانياً :مدينة / قلعة ثارو/سيله

تعتبر مدينة ثارو واحدة من أهم المدن الحدودية بالنسبة لمصر رغم وقوعها داخل ارض مصر لاعتبارًا أساسي وهو أنها تعتبر البوابة الحقيقية لمصر في حدودها الشرقية التي عن طريقها يدخل القادم من المنطقة الصحراوية إلي المنطقة الماهوله بالسكان في الدلتا والوادي، وتعتبر في نفس الوقت بداية الطريق الحربي الذي تنطلق عبره القوات المصرية في حملاتها إلي فلسطين والشام .

تقع مدينة ثارو علي بعد ٣ كم إلي الشرق من القنطرة ومكانها حالياً " تل أبو صيفة" الحالي أو التل الأحمر إلي الشرق من قناة السويس. ويقع هذا التل علي بعد ٥٠ كم عند الجنوب الشرقي من تانيس وعلي بعد ٢٦,٥ كم جنوب غربي الفرما (البلوزيوم) [٦٠] (لوحة ٣). وقد ورد ذكرها في بردية أنستاس(٣)في إشارة إلي أن بلاد خارو تبدأ من عندها وحتى يوبا (ربما بين دمشق وقادش):

"أرض خارو بداية من ثارو حتى يوبا " [٦١]

---

[٥٨]. Maria Munster, Untersuchungen Zur GÖttin Isis vom Alten Reich bis Zum Ende des Neuen Reiches ,Mäs11, Berlin 1968, p.177.

[٥٩] Elenora Kormasheva , kulte der ägypyischen GöHer des Neuen Reiches in kusch, in AE 35 , Festschrift Gundlach , Wiesbaden1996 ,p, 142 f.

[٦٠] A. Gardiner , Ancient Egyptian Onomastica II, p.202;Gardiner, The ancient Military Road between Egypt and Palestine , JEA (1920),p,104.

[٦١] Pap. An. III, 1.9-10, (Gardiner , Late Egyptian miscellanies : Bib .Aeg V11 (Bruxelles 1937) ,21,7.

وبعيدا عن هذه الإشارة فالثابت أن ثارو كانت عاصمة الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر السفلي المعروف باسم hnt ỉ3bt أي بوابة أو واجهة الشرق في العصر البطلمي [٦٢]،وذلك في فقرة جاءت في انشودة أو زير بمعبد دندرة :

"في ثارو في إقليم بداية الشرق [٦٣].

وحدد نص دندرة أن هناك أيضاً تقع بوابة مصر [٦٤].

وقد ورد اسمها بقراءات مختلفة مثل Sileفي العصر الروماني و ϵϵλq في العصر اليوناني والقبطية CϵλH وهو أسم يتفق مع الأشورية Ša - amele [٦٥].

أما عن أصل أسم ثارو ، والذي لم يرد قبل عصر الملك تحتمس الثالث [٦٦] ، فواضح أنه اسم أجنبي من كتابته المقطعية ولم يحدد "البرت" أصله [٦٧]، ، غير أن "فيشت" استطاع أن يحدد أصل هذا الاسم وراجعة إلي اسمŠa -amilie وهو أسم مدينة كان "أسر حدون " قد حاصرها في العام السابع قبل هجومه الأخير علي مصر في عام ٦٧١ ق. م .ويتكون هذا الاسم في الأكدية من مقطعينŠa بمعني مدينة و amēlie وتعني الناس وهي تنطق أيضا awile عند الإضافة وان Sa تقابل حرف Saفي المصرية ومن ثم فإن الاسم المركب Ša- awīlê يتحول مع إضغام حرف الألف بين الكلمتين إلي Šâ-wilê والذي يتحول بدورة إلي selêثم جاء في الكنعانية siḷḷû وفي المصرية ثارو أو زارو [٦٨] ،وهذا الاسم لم يرد قبل عصر تحتمس الثالث [٦٩] ،وتتمثل أهمية ثارو في موقعها الهام كمدخل لحدود مصر الشرقية مما جعل لها أهمية كبيرة في النشاط العسكري وأيضا التجاري لمصر .

كانت ثارو كما ذكرنا هي مدخل مصر من حدودها الشرقية وفي نفس الوقت نقطة انطلاق القوات المصرية إلي خارجها وبداية الطريق الحربي إلي فلسطين وهو طريق ضيق ملائم بين بحيرتي المنزلة والبلاح وهو الطريق الذي كان يعرف باسم طريق حورس [٧٠] والذي كان يعتبر منذ الدولة الوسطى كأهم معبر حدودي نحو الشرق ومن ثم فإن من المؤكد أن قلعة ثارو كانت موجودة منذ الدولة الوسطى علي الأقل ،وكان طريق حورس في قصة سنوحي هو أول مكان وطأة سنوحي عند عودته إلى مصر ، وواضح انه كان بها قلعة بها ضباط وفرقة من

---

[٦٢] Gardiner , Op. cit., 203 f.

[٦٣] A. Erman , Die Horuswege , ZÄS43 (1906) ,p.73.

[٦٤] Ibid ., Note 1.

[٦٥] LÄ.V,946.

[٦٦] Gardiner , Op. cit., 203 f.

[٦٧] W.Albright, TheTown of selle (Zaru) in the Amarna Tablets in: JEA 10,p.6.

[٦٨] G. Fecht , Zu den Namen ägyptischen Fürsten und Städte in den Annalen des Assurbanibal und der chronik des Assarhaddun , in MDAIK 16 (1958) ,pp.116 ff.

[٦٩] W. Albright OP.cit..

[٧٠] Gardiner , AEO ,203 F.

الجنود وقد قام بإبلاغ البلاد بمقدم سنوحي [٧١] كما جاء في أيام تحتمس الثالث ورمسيس الثاني إن حملاتها العسكرية كانت تبدأ من بعد عبورهم قلعة ثارو [٧٢] ولقد أصبح اسمها مرادفا لاسم " طريق حورس" [٧٣] فيما دلت علية فقرة من بردية " أنستاس ١" جاء فيها :

تعال أحكي لك عن (أشياء) مختلفة ، ألتفت (خلي بالك) إلي قلعة " طريق حورس" [٧٤] ،ولقد لعبت ثارو في الدولة الحديثة أكثر أدوارها أهمية مع انطلاق معارك مصر الحربية اتجاه بلاد الشام وقد صورت كقلعة محصنة علي جدران معبد الكرنك (الجدار الشمال الخارجي) لصالة الأعمدة الكبرى حيث سجل سيتى الأول معاركة وانتصاراته الكبرى في آسيا والتي بدأها في أوائل حكمه بالقضاء علي جماعات الشاسو من البدو التي هددت حدود مصر الشرقية وجاء فيها أنه قضي علي البدو (شاسو) من قلعة ثارو حتى كنعان [٧٥]

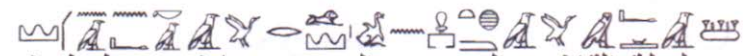

وقد سجلت ضمن سلسلة القلاع والحصون التي مر بها في تخطيط دقيق يمكن ان يعتبر أقدم خريطة وصلت إلينا من العالم القديم [٧٦].

وفي فقرة بردية أنستاس (٥) جاء ذكر ثارو مرتبطاً بقلعة باسم رمسيس الثاني :

"وانظر لقد عبرنا قلعة " مرت أمون رع مسو "التي هي في ثارو " [٧٧].

ويفهم من هذه الإشارة ان مدينة ثارو وحصنها الكبير كانت تتكون علي ما يبدو من عدد من القلاع من بينها وأشهرها قلعة رمسيس الثاني والتي ورد ذكرها في إشارة أخري تحدثت عن قدوم الآسيويين إلي رمسيس ٢ في هذه القلعة طلباً للعفو. [٧٨].ونحن نعرف أن رمسيس الثاني حينما بدأ معاركة ضد الحيثيين انطلق بجيوشه من مدينة ثارو (٨) ،ونعرف من خطابات العمارنه وخلال فترة حكم إخناتون، والتي تدهورت أثنائها الأوضاع السياسية والعسكرية المصرية في فلسطين وبلاد الشام أن قد رفع عدد من حكام المدن في سوريا وفلسطين راية العصيان علي مصر بل إن هذه الاضطرابات قد أصبحت علي أبواب مصر وبالتحديد عند ثارو مثلما جاء ضمن مراسلات العمارنه في خطاب للأمير " اراد - صا " يحذر فيه أمنحتب الرابع.

---

[٧١] Erman , Op. cit., p. 72 ff.

[٧٢] LÄ V , 946 f.

[٧٣] Gardiner , Military Road in JEA , 6,p. 103

[٧٤] Gardiner , Egyptian Hieratic Texts (Scrie literary Text of the New Kingdom , Leipzig 1911 , p. 28, 76(= An .1. ,27, 2) .

[٧٥] Gardiner , Op. cit., (JEA 6) , p. 100.

[٧٦] Ibid ., p. 101.

[٧٧] Gardiner , Late Egyptian Miscellanies 70,6:7(An. V, 24, 6,7Gardiner , Military Road (JEA 6) p.106.

[٧٨] Garadiner , The Geography of the Exodus , JEA 10 (1924) ,p.93

من الأوضاع المترديه للقوات المصريـــة فـــي آســيا قـــائلا أن العـــبرانيين يسيطرون الآن علي مدن الملك ولا يوجد أحد من الحكام التابعين للملك : كلهم قـــد هلكوا انظر توربازو قد ذبح علي بوابة زارو (سيلو) والملك لا يتحرك وأيضـــا " بابتيح" قد ذبح علي بوابة سيلو والملك لايتحرك [٧٩] .

ومما يذكر لمدينة ثارو أن محاولة أسر حدون لغزو مصر في حملته عليـــها في العام السابع قد تحطمت عند أسوارها بسبب قوة دفاعاتها وصلابـــة تحصيناتـــها وأنه اضطر للانسحاب والتقهقر، وحينما عاد في عامه العاشر عام ٦٧١ ق.م غـــير خطته والتف من طريق صحراوي صعب متحاشيا تحصينات ثارو وخـــدع بذلـــك طهرقه ونجح في غزو مصر [٨٠] ،وهذا يدل علي قوة ومناعة تحصينات ثارو.

و إلي جانب هذا الدور العسكري الهام لمدينة ثارو،فقد كان لها أيضا أهميـــة كبيرة كمدينة تجارية تلتقي عندها طرق التجارة الرئيســـية القادمـــة مـــن ســـوريا والجزيرة العربية وكذلك التجارة الخارجة من مصر ، فعندها كـــان يبـــدأ طريـــق القوافل الرئيسي إلي سوريا [٨١] .ومن المفترض أن لمدينة بهذا الموقع الاســـتراتيجي الهام أن تكون مركز التبادل التجاري وفي نفس الوقت أنها كـــانت مركـــز التقـــاء واتصال بل ومستقر لمجموعات سكانية من شعوب مختلفة مصريين بالدرجة الأولي وتجار كنعانيين من فلسطين ومن بلاد الشام وتجار من شبة الجزيرة العربيـــة، بـــل وربما من منطقة إيجه يتاجرون ويتعاملون ويعيشون معا في سلام ولعل هنـــاك مـــا يؤكد ذلك في أصل تسمية مدينة ثارو عن الأكدية Ša- awilim ذلك أن هذا الاســـم كما فسره Fecht بصواب يعني " مدينة الناس " [٨٢] ،غير أنه لم يتوقف أمامه . هذا الاسم والذي هو فريد في معناه ودلالته إنما يدل علي الانطباع العام (في الأكديـــة) عن هذه المدينة والذي لا يحتمل تفسيراً غير أنها مدينة حافلة بسكان مـــن مختلـــف الجنسيات أو القوميات ولو كان المقصود مجرد سكان محليين لاتفقت في ذلك مع أي مدينة أخري وما كانوا خصوها بتسمية "مدينة الناس ".

غير أنه للأسف لم يعثر علي بقايا أثرية كثيرة تدلل علي ذلك،علي أســـاس أن ما كشف عنه من آثار كان خاصا بالقلعة أما المدينة السكنية فكانت في مكان آخـــر مجاور أيضا في منطقة تل أبو صيفا غير أنه لم يعثر عليها وكان معبودها حـــورس رب "مسن" مما يوحي بصلة بينها وبين مدينة "مسن" القديمة التي كـــان لها فيها معبد أيضا، وكان حورس مسن يشار إلية بأنه رب الإقليم الرابع عشر مـــن أقاليم مصر السفلي والذي كانت ثارو عاصمته [٨٣] ويؤكد ذلك انه قد عثر علي هريـــم في القنطرة كان مكرساً لحورس رب مسن [٨٤] .

---

[٧٩] Albright, Op. cit., p.6.

[٨٠] Fecht, Op. cit., p.116,119

[٨١] Gardiner, Op. cit., p.90

[٨٢] Fecht, Op. cit., p.116

[٨٣] Gardiner , The Delta Residence the Ramessides , in JEA 5(1918) , p. 242.

[٨٤] Gardiner , Geography of the exodus (JEA 10) ,p.91 note 1.

وقد أشير إلي معبودها علي انه الأسد،وحورس يدمر أعداءه،والمقدس في المعبد،حورس الذي يدرأ بعل عن مصر حتى لا يدخلها ، أما شريكته فكانت إيزيس[٨٥] ورغم عدم توافر الأدلة علي مثل هذا التواجد السكاني في ثارو فإن هناك دليل فريد حول ذلك من العصر المتأخر جاء في لقب التاجر المعيني الشهير " زيد إيل بن زيد" الذي استقر في مصر وعمل بتجارة فيها وتلقب بلقب الكاهن المطهر (wʿb) لأبيس في العصر البطلمي، وعثر علي تابوته وقد سجل علية القابه ونسبه وجاء من بينها لقب " ظيرن" الذي يمكن ترجمته بصيغه النسبة : الظيراني والذي ربما يعني المنتسب إلي ظير أو ثارو[٨٦]،وهو تفسير، إن صح فإنه يمكن أن يشير إلي أن هذا التاجر ينتسب إلي ثارو وبالتحديد إلي جالية معينية كانت مستقرة في مدينة ثارو وتعمل بالتجارة والوساطة التجارية ، ربما صورة مصغرة من الجاليات المعينية الكبيرة والمعروفة في واحة العلا (في ددان وليحيان). ولعل الحفائر المستقبلية تأتى بالجديد مما يعطي مزيدا من الضوء عن الطبيعة هذه المدينة كمركز وملتقى سكاني وحضاري .

ونعرف من المصادر أيضا أن ثارو كان لها شهرة خاصة بالنبيذ ولعلها كانت تنتج نوعا متميزا منه ،وقد جاءت الإشارة إليه بين أنواع التقدمات التي كانت رمسيس الثاني يقدمها إلي معبد حورس رب بوهن.

العام الثاني عشر نبيذ ثارو (إلي حورس رب بوهن)[٨٧].

وتأكد هذا أيضاً من سدادات لجرار النبيذ عثر عليها و قد سجل عليها اسم[٨٨] و لعل هذا ما يدعونا إلي افتراض أن اسم الذي ذكره " زيته " بأنه اسم مكان مشهور بإنتاج النبيذ و ورد ذكره بكثرة في مصادر الأسرة ١٨ و أشار إلي أنه لا علاقة له باسم w3t ḥr المرادف لمدينة ثارو[٨٩] أنه بالعكس نفس الاسم و ما هما إلا كتابتان مترادفتان لنفس الاسم " طريق حورس المرادف في نفس الوقت لثارو.

ثالثاً مدينة عاتيكا (مدينة وادي منعيه) ʿ3tik3

هذه المدينة التي نذكرها باسمها الذي أطلقته عليها المصادر المصرية يشير إلي مدينة كانت تقع قديماً في دولة "أدوم" و تعرف باسمها العربي " وادي منعية " و الذي يقابل الاسم العبري الذي أطلق عليها حديثاً " تمنه " .

تقع هذه المدينة علي بعد ٢٠،٥كم إلي الشمال من إيلات عند خليج العقبة[٩٠]،و بالتحديد في وادي عربة . وقد عرفت أيضاً باسم العرابة[٩١] نسبة إليه ، و هو واد

---

[٨٥] Gardiner , AEO, 204 .

[٨٦] E . Hommel ,A Minaen Inscription of the ptolemaic , in Jour . Asiat. 16, pp. 145-149

[٨٧] Smith , op. Cit ., p. 176,8,pl. 50; Kitchen , Ramesside Inscriptions ,II, 776, 10.

[٨٨] Gardiner , Geography of the Exodus , p. 93 .

[٨٩] K. Sethe , Bemerkung zum Erman`s Aufsatz (Die Horuswege) in ZAS 43 (1906) p. 73 .

[٩٠] LÄ VI , 593 f .

[٩١] Rapheal Giveon , The Impact of Egypt on Canaan , Orbis Biblicus et Orientalis 20 GÖttingen 1978, p. 61 .

يمتد من جنوب البحر الميت و حتى شاطىء البحر الأحمر بطول ١٧٥كم و هو يفصل هضبة الأردن و الحجاز إلي جنوبها (الحدود الشمالية الغربية للسعودية) شرقاً من ناحية عند النقب و شبه جزيرة سيناء غرباً من ناحية أخري ، تقريباً عند الخط الفاصل بين قارتي آسيا و إفريقيا، و بتعبير أخر فهو يقع في منطقة حدودية تفصل بين أربع مناطق منفصلة جغرافياً . و هي منطقة تحف بها الجبال التي تتخللها بعض الممرات و المعابر و هي ذات طبيعة جدباء فقيرة غير مشجعة علي الإستيطان السكاني رغم أنه يمر بها أقصر طريق يربط بين الجنوب و الشمال في العصر الحديث . و بإستثناء بضع كيلومترات في شمال وادي عربة و جنوبه فإن التجمع السكاني فيه كان محدوداً و ذلك بسبب ندرة المياه و الأرض الجدباء.

ويوجد علي طول الطريق فيه محطات تموين و قلاع رومانية و بيزنطية و كذلك الطرق التي تعبره من الشرق إلي الغرب و تنتشر في هذا الوادي مناجم النحاس و من هنا كانت أهميته . و يتركز وجود الخام في الجزء الجنوبي منه حيث يوجد فيه الموقع الرئيسي لاستخراج النحاس. و في هذا الموقع بالتحديد قامت مدينة عاتكة (وادي منعية) و هناك موقع تعدين أصغر يوجد علي بعد ١٠ كم إلي الجنوب منها في وادي عمراني[٩٢] . أما الاسم المصري "عاتكة " Atak[*] فواضح من كتابته المقطعية أن اسم سامي لعله يمكن تقريبه إلى لفظ "عتيقة" ربما مقارنة باسم المدينة الفينيقية "أوتيكا" على الساحل الشمالى الافريقى (فى ليبيا) والتى يعنى اسمها "العتيقة" والتى حلت محلها واحتلت مكانتها مدينة فينيقة أخرى احدث قامت أيضا على الساحل الشمالى الأفريقى إلى الغرب منها (تونس) ألا وهى مدينة قرطاج الشهيرة والتى جاء اسمها من لفظى "قارت"و "حدش" ويعنى القرية (المدينة) الحديثة.

ولعل أهمية هذا الموقع، والسبب فى قيام تجمع سكانى فيه رغم عدم توفر وسائل للإعاشة فيه هي كما ذكرنا توفر خام النحاس. ولهذا السبب فقد لفت هذا الموقع أنظار المصريين القدماء منذ وقت مبكر رغم بعده النسبى ، فأرسلوا البعثات باستمرار إليه لاستخراج خام النحاس ثم تحول الأمر بعد ذلك إلى شكل استقرار واستيطان اشترك فيه المصريون وجماعات سامية أخرى (من مدين) فى استخراج الخام وصهره كما جاء بالحرف فى بردية هاريس الكبرى من عهد رمسيس الثالث على لسان الفرعون:

ولقد أرسلت رسلى إلى بلدة "عتيقة" إلى مناجم النحاس الكبرى الموجودة فى هذا المكان[٩٣] أما عن تاريخ منطقة عاتيكا فقد تبين من الحفائر ان استيطانها يرجع إلى المرحلة الكالكوليتية من العصر الحجرى الحديث أو البرونزى الأول وتم استيطانها على شكل فترات متقطعة قصيرة عمل مستوطنوها على ما يبدو فى صهر

---

[٩٢] Benu Rothenberg , the Egyptian mining temple at Temna , London , 1988 , p .1.

[*] اسم عاتكة (عتيقة) لا يمكن أن يكون له علاقة بمنطقة جبل عتاقة غرب السويس لعدم وجود خام النحاس في الأخيرة كما جاء في تعقيب لشولمان علي رأي A. Nibbi حول ذلك في كتابها (A. Nibbi , The sea people and Egypt) و إن لم أجد ذكراً لذلك في هذا المصدر أنظر :

A. Schulman , The Royal Butler Ramessesem - perec , in , JARCE XIII , (1976) , p. 130 note 77.

[٩٣] W. Erichsen, Papyrus Harris I, Bib. Aeg. V, Bruxelles 1933 p.95 (Harris 78, 1,2).

النحاس. ثم تكونت مجموعات سكانية استقرت فى هذه المنطقة والمناطق المجاورة إلى الجنوب من الوادى مثل وسط سيناء. وقد نشأت حول مناطق استخراج النحاس فى سيناء والعرابة مستوطنات صغيرة وبشكل خاص فى عاتيكا (منعية)، وترجع الأدلة الاثرية التى عثر تاريخ المنطقة (أى السكنى فيها) إلى الألف الرابع ق.م، ثم تنقطع معرفتنا عن مراحل استيطان المنطقة والمراحل التالية حتى النصف الثانى من عصر الدولة الحديثة وبالتحديد حتى عهد سيتى الأول حيث بدأت الأدلة الأثرية تتوفر بكثرة من خلال ما جاء من الحفائر فى معبد حتحور فى عاتيكا والذى شيده سيتى الأول، غير أن ما عثر عليه من فخار مصرى والفخار الخاص بجماعة المصريين التى كانت تعمل فى صهر النحاس فى المستويات ٢،٣ (الموقع ٣٠) يدل على ان تواجد المصريين ونشاطهم فى العرابه ربما يكون سابقاً على عهد سيتى الاول (١٣١٨ – ١٣٠٤ ق.م) وإن كان هذا يحتاج إلى أدلة أقوى[٩٤].

أما عن المعبد فمعروف أنه كان مكرساً للإلهة حتحور والتي وردت صفتها مرات عديدة فيه بلقبها المعروف ربة الفيروز nbt mfkɜt [٩٥].

وارتباط حتحور بهذه المنطقة متصل بما هو معروف عنها بارتباطها بالبلاد الأجنبية كما فى صفاتها المختلفة ربة "بيبلوس" وربة "بونت" وربة "كوش" وربة "ايمو"ومما يوحى فى رأى Giveon بأصل أجنبى لها كما تقارن احتمالية اعتبار أن اسم ربة بيبلوس هو ترجمة مصرية للاسم الكنعانى للربة المحلية (بعلة جبيل) أى سيدة جبيل[٩٦]. وهو على أى حال رأى لا سند له، فحتحور عرفت باسمها ولقبها وكان لها معبدها فى جبل كما سيأتى فيما بعد .إلى جانب ذلك هناك أيضا ارتباط حتحور المعروف بالأحجار والمعادن الثمينة كما تدل عليها ايضا صفاتها : ربة الفيروز(mfkɜt) – ربة اللازورد (ḥsbd)وربة الامتست (ḥsmn)وربة الفضة ، وهى صفات عرفت لها منذ الدولة الوسطى[٩٧].

وحتى بالنسبة لمعبدها فى عاتيكا (منعية) والذى ترجع بداياته إلى عصر سيتى الأول فقد ظهرت فيه باستمرار بلقب nbt mfkɜt رغم ان المعبد قائم فى مكان غنى بالنحاس، ولا يوجد هناك أى اثر للفيروز، ولقد ظل المعبد مستخدماً حتى عصر رمسيس الخامس،وحتى ذلك الحين ظلت تذكر بلقب ربة الفيروز دون إشارة إلى النحاس رغم أهميته ولن ترد أى إشارة إلى "ربة النحاس" مما يدل على أن صيتها كربة للفيروز قد شاع هناك ووصل اليها من قبل[٩٨].

ونعرف من ذلك أن عتيقة اعتباراً من ذلك العصر (عصر سيتى الأول) حسب الدلائل الأثرية ظلت مطروقة باستمرار من قبل المصريين وقد أرسل الملوك بعد ذلك بعثاتهم إليها تباعاً وبشكل منظم فيما دلت عليه الآثار المكتشفة. وكما ذكرنا كان سيتى الأول هو أول ملك تحقق اسمه فى عتيقة ثم تلاه رمسيس الثانى ومرنبتاح

---

[٩٤] B. Rothenberg, Op. cit., 276(Schulman, the history of the site)

[٩٥] R. Giveon, Op. cit., (Hathor at Serabit El-Khadim and Timna).

[٩٦] Ibid.

[٩٧] Ibid., p. 62.

[٩٨] Ibid., p. 65.

ثم سيتى الثانى وتاوسرت وأيضا امنمس (لم يذكره شومان)، ثم من الأسرة العشرين الملوك رمسيس الثالث ورمسيس الرابع ورمسيس الخامس وبين نهاية الأسرة ١٩ وعصر رمسيس الثالث توجد فجوة فى آثار المنطقة ربما مرجعها إلى ظروف الاضطراب التى حدثت فى تلك الفترة (فى حكم تاوسرت وأوائل الأسرة ٢٠)،وهو ما وصفه رمسيس الثالث في الجزء التاريخي من بردية هاريس والثابت وجود المصريين حتى عصر رمسيس الخامس [٩٩].

ومن بين الآثار الهامة التى عثر عليها وتشير الى هؤلاء الملوك قطعة رقم ١٢ وهي عبارة عن سلطانية تحمل خرطوشى مرنبتاح والقطعة رقم ١٠٣ تحمل اسم رمسيس الرابع ورقم ١٠٤ (قطعة من إناء) تحمل ربما اسم أمنمس [١٠٠]،وإلى جانب العديد من أدوات الزينة والفخار المصرى الملون ومائدة قرابين وتماثيل صغيرة وأبو الهول والسستروم واساور مختلفة [١٠١] كذلك أختام وجعارين تحمل اسم "أمون رع" توجه إليه الدعوات وكانت عبادته منتشرة أيضا فى كل المنطقة [١٠٢].

ومن أهم ما عثر عليه لوحة صخرية خاصة برئيس الخدم الملكى المدعو (رمسيس إم برآمون) عثر عليها منحوتة فى الصخر فى واجهة صخرة إلى الشمال من ناووس الأسرة ١٩، وقد صور عليها الملك رمسيس الثالث وهو يقدم القرابين إلى الإلهة حتحور وأسفلهما سطر يذكر حضور كبير الخدم الملكى المذكور [١٠٣].

و من الجدير بالذكر أن مع بداية الأسرة العشرين بدأ الآسيويون المتمصرون يلعبون دوراً رئيسياً فى البلاط المصرى، وشغل بعضهم وظيفة كبير الخدم الملكى وهو منصب بعد رفيعاً. ومن بينهم الشخص المذكور هنا على اللوحة السابقة والذى تأكد وجوده فى هذا المنصب منذ السنة السابعة من عهد مرنبتاح وهو من أصل أسيوى، وقد اتضح ذلك من لوحة أخرى له عثر عليها فى أبيدوس وذكر عليها اسمه الأسيوى "بن عازن من ذيرى باشان" [١٠٤] ويفترض شولمان أن كبير الخدم السابق ذكره هو ذلك المبعوث الملكى الذى كلفه الملك رمسيس الثالث بقيادة البعثات التى أرسلها إلى مناجم النحاس فى عتيقة بنص بردية هاريس وذلك لتثبيت وترسيخ الوجود المصرى هناك [١٠٥].

ولقد ظل إرسال البعثات يسير بشكل منتظم دل عليه اتصال ذكر أسماء الملوك فى المعبد بداية من سيتى الأول (*) ورمسيس الثانى وحتى تاوسرت ثم انقطع بعدها تسلسل أسماء الملوك حتى عصر رمسيس الثالث الذى تأكد اسمه من اللوحة السابقة وأثار له عثر عليها إلى جانب نص بردية هاريس الكبرى. ومن هذه

---

[٩٩] B. Rothenberg, Op. cit., p.145.

[١٠٠] Ibid.,P. 128

[١٠١] Ibid., p. 304-307

[١٠٢] Ibid., p. 137.

[١٠٣] Schulman Op. cit., p. 117 f.

[١٠٤] Rothenberg, Op. cit., p. 144 (Schulman, the Rock stelae).

[١٠٥] Schulman Op. cit., p. 124.

(*) يعتبر شولمان أن اقدم ملك ورد ذكره فى المعبد هو رمسيس الثانى وليس سيتى وان الناووس شيد فى عهد رمسيس الثانى ، انظر : Ibid, note2

البردية أيضا علمنا كيف عاد النشاط التعدينى المصرى مرة أخرى إلى عتيقة فى عصر رمسيس الثاني بعد توقفه لبعض الوقت منذ عهد تاوسرت[١٠٦] ،فقد جاء فى الوصف التاريخى لبردية هاريس على لسان الملك "أنى قد أرسلت رسلى إلى بلدة عتيقة ... وعادوا وسفنهم محملة به (خام النحاس) بينما حمله آخرون على ظهور حميرهم (بشكل) لم يسمع به منذ زمن الملوك الأقدمين وقد وجدت المحاجر غنية بالنحاس وقد حمل بعشرات الآلاف على سفنهم (التى) رحلت به الى مصر ووصلت سالمة[١٠٧]". ويفهم من ذلك أن هذا النشاط المصرى فى استخراج النحاس كان مكثفاً وان كميات كبيرة قد استخرجت منه بالفعل ويفهم من هذا النص كذلك ان الوصول إلى عتيقة كان يتم عن طريق البحر الأحمر (بحراً) ثم تكمل المسافة الباقية براً. او أن الرحلة بالكامل كانت تتم براً على ظهور الحمير عبر شبة جزيرة سيناء[١٠٨]

بعد عصر رمسيس الخامس يبدو أن النشاط التعدينى المصرى قد توقف ثانية فى عتيقة ولم نسمع عن أى نشاط جديد إلا في عصر الأسرة ٢٢ حينما عادت بعثة إلى المنطقة وعملت فى استخراج النحاس ولكنه لفترة قصيرة[١٠٩].

و عن جوانب الاتصال الحضارى بين سكان عتيقة، فنعرف انه إلى جانب الجماعات المصرية التى عاشت فيها خلال الفترة المعاصرة لبناء معبد حتحور أو قبلة فقد عاشت فى المنطقة أيضا جماعات من مدين ودل على ذلك ما عثر عليه من فخار مدين الذى وجد من نفس الفترة وانهم كانوا يعملون مع المصريين فى مناجم استخراج النحاس وفى صهره وانهم كانوا يشتركون مع المصريين فى العبادة وبالتحديد فى تقديس الإلهة حتحور وهو ماله مثيل فى منطقة سرابيط الخادم فهناك عبدت القبائل السامية الإلهة حتحورتحت اسمها السامى "بعلت ".

وهناك إشارات توراتية مماثلة إلى جماعات من أهل مدين من الحجاز كانوا يعيشون مع المصريين ويعملون فى صهر النحاس ويقدمون القرابين إلى المعبد "[١١٠].

وقد ظل أهل مدين يعملون فى استخراج النحاس وصهرة حتى بعد ان ترك المصريون الموقع بعد الأسرة العشرين .أما المعبد فقد تحطم الناووس والجدار الجنوبى وقد يكون هذا بفعل زلزال أو سقوط صخرة علية . بعد ذلك يبدو هناك تحول فى شكل معبد حتحور إلى طراز معبد سامى فى شكل مقصورة صحراوية[١١١].

والأدلة على وجود هذه الجماعات المدينية عديدة:

من بينها العثور على أعداد كبيرة من الصحاف والأوانى الفخارية أصلها من مدين وفخار مدين يتميز بزخارفه التقليدية وتكوينه بعناصر مركبة، وتقريباً هو

---

[١٠٦] B.Rothenberg, Op. cit., (the finds) p. 145.

[١٠٧] Erichsen. Op. cit., 95 (Harris, 78, 1-5)

[١٠٨] LÄ VI, 593 ff.

[١٠٩] B . Rothenberg , Op. cit., p . 277.

[١١٠] Ibid., the archaeological the history of site 200 , p.276 f.

[١١١] Ibid., p. 277.

الفخار الوحيد الملون ويفترض أن فخار مدين قد أتى من منطقة القرية (Qurrayyah) وقد ثبت أن المادة الخام قد أتت من تلك المنطقة[١١٢]، وأن صناعته كانت صناعة محلية قام بها سكان المنطقة من أهل النقب المحليين الذين كانوا يعيشون مع رجال التعدين المصريين وكان هذا الفخار من النوع الخشن المصنوع محلياً[١١٣].

كذلك وجد فى نفس الوقت فخار مصرى يتميز منه أوانى صغيرة ومتوسطة الحجم وذات جوانب رقيقة إلى جانب فخار مصرى أصلى مصنوع فى وادى النيل[١١٤] من الأدلة الأخرى على أصل جماعات مدين بين سكان المنطقة ما عثر عليه من كميات عظام الجمال الكثيرة التى وجدت فى منطقة الصهر من عصر الدولة الحديثة والمعروف أن الجمل كان يستخدمه العرب ولم يستخدم فى مصر حتى العصر الرومانى ،وقد عثر كذلك على تصوير له على فخار مدين. والجدير بالذكر أن عظامه لم يعثر عليها فى منطقة المعبد مما يعنى تحريم تقديمه كقربان فى المعبد من قبل المصريين وأهل مدين على حد سواء.

وتدل أشكال وطرق صناعة الفخار على وجود أسلوبين فنيين فى صناعته أحدهما مصرى والأخر مدينى، وهناك ما يشير إلى وجود تداخل بين الصنعتين متمثلاً فى وجود أنواع وسيطة تعكس تداخل الصنعتين مما يعنى أن المصريين ,أهل مدين كانوا يتبادلون خبراتهم فى ذلك وهم يعيشون سوياً[١١٥].

علىأى فقد إستمر أهل مدين فى المنطقة حتى بعد أن ترك المصريون المكان واستمروا لفترة قصيرة فى العمل فى صهر النحاس حتى تركوا هم أيضا المنطقة عند منتصف القرن الثانى عشر، ثم عاشوا بعد ذلك على فترات قصيرة ويبدو أن المنطقة قد هجرت بعد ذلك لفترة ثم عاد النشاط إليها مرة أخرى فى العصر الرومانى فى الفترة من نهاية القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادى من بعد هزيمة الرومان للأنباط، ولا يوجد ما يدل على نشاط تعدينى فى عصر الأنباط وبعد العصر الرومانى يبدو أن النشاط الاستيطانى فى المنطقة قد توقف[١١٦].

رابعاً : مدينة جبيل kpny

هذه المدينة لا ينطبق عليها فى الواقع تعبير حدودية ولكن باعتبارها مدينة ساحلية وواحدة من أهم مراكز التجارة والوساطة التجارية فى العالم القديم على الساحل اللبنانى فإنه يمكن أخذها استثناءً كمثل أو نموذج للالتقاء الحضارى.

تعتبر جبيل من أشهر المدن الساحلية الفينيقية عند سفح جبل لبنان على بعد ٤٠ كم من بيروت وقد عرفت بإسمها هذا من المصادر المصرية التى سجلت اسمها منذ الدولة القديمة (بالباء الخفيفة)، ثم أصبح منذ الدولة الوسطى يكتب هكذا

---

[١١٢] Ibid., p. 100, 277.

[١١٣] Ibid., p.111.

[١١٤] Ibid., p. 99 f.

[١١٥] Ibid., p.277.

[١١٦] Ibid., p.278.

kbny (بالباء الثقيلة) [١١٧] وقد ورد للاسم كتابات أخرى مرادفه مثل [١١٨] وهى تقابل جوبلا وهو الاسم الذى عرفت به فى المصادر البابلية والآشورية ثم [١١٩] واشتهرت كذلك باسمها فى اليونانية Byblos وفى العربية جبيل.

ولقد إشتهرت جبيل أساسا بتجارة الأخشاب وبالأخص خشب الأرز الذى كانت تنتشر أشجاره على سفوح جبال لبنان، فكانت تصدره من ناحية ومن ناحية أخرى تصنع منه السفن بأنواعها المختلفة وأصبحت بالتالى مركزاً هاما لصناعة السفن بل ولقد اشتهر فيها نوع من السفن إستخدم في نقل الأخشاب إليهاوغير ذلك نسب إليها واخذ إسمه من اسمها وهى السفن المعروفة ة باسم كبنه أو كفتيو [١٢٠] وقد اصبح لها من وراء ذلك علاقات تجارية نشطة مع دول العالم القديم وبالأخص مصر.

أطلق المصريون على لبنان بصفة عامة إسم (فنخو) وذلك منذ عصر الملك (نى أوسرع) وهو إسم ربما يكون له صلة بشهرة أهل لبنان فى قطع الأخشاب ولعل الاسم يعنى (قاطعى الأشجار) .وقد ورد ذكر كتبه فى لبنان يحملون لقب (قاطعى الأخشاب الملكية fnḫw) [١٢١] من هذا المنطلق فان علاقات مصر بجبيل هى علاقات قديمة متبادلة ظلت شبه دائمة ومتصلة فى معظم الأوقات.

تبعاً للمصادر المصرية فإن أقدم إشارة إلى جبيل جاءت فى عصر الأسرة السادسة غير أن ما عثر عليه من آثار مصرية فى جبيل يرجع هذه الصلات على الأقل إلى ما قبل ذلك بكثير [١٢٢] .

ونتتبع فيما يلى هذه العلاقات المتبادلة من خلال ما سجلته النصوص وما عثر عليه من آثار.

أقدم إشارة إلى الالتقاء الحضارى بين مصر وجبيل جاءت من جبيل من المعبد المصرى الذى كشفت عنه حفائر بعثة المعهد الفرنسى برئاسة مونتيه فى الفترة من ١٩٢٢ –١٩٢٤ ،حيث عثر على اسم الملك خع سخموى أخر ملوك الأسرة الثانية على جزء من كوب وقد نقش أسمه بطريقة فريدة داخل السرخ (واجهة القصر) ويعلوه فى وقت واحد كل من الصقر حورس بالتاج المزدوج والإله ست بالتاج الأحمر [١٢٣]، وفيه ما يذكرنا بالأحداث السياسية التى حدثت فى مصر فى أواخر الأسرة الثانية،ولعب هذا الملك الدور الأخير فى إنهائها ، وكأن جبيل غير بعيدة عن أخبار هذه الأحداث. بعد ذلك تتوالى الآثار بشكل متصل طوال عصر

---

[١١٧] A. Gardiner, AEO 257.

[١١٨] P. Montet, Byblos et l'Egypt, Text Vol., Paris 1928, p. 7.

[١١٩] Ibid., p. .267..

[١٢٠] Ibid., p.8.

[١٢١] W.Helck, Beziehung Ägyptens zur Vorderasien, Wiesbaden 1962, p.22.

[١٢٢] Ibid., p. 21 Anm. 64.

[١٢٣] P. Montet, Notes et Documents pour servir A l'histoire des Relations entre l'ancienne Egypte et la syrie, kemi.1,1928,84 pig 1.

الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة، فمن عصر الأسرة الرابعة عثر على جزء من إناء من الألبستر عليه بقية من اسم الملك خوفو وفوقه حورس بالتاج المزدوج،[١٢٤] وعثر على اسم خوفو أيضا على إناء من الديوريت، وكذلك على اسم زوجته (ميريت اتيس) على قطعة من إناء ثم جاء الاسم الحورى للملك منكاورع (كا) على قطعة من إناء الالبستر وعلى اثر أخر بقيت عليه العلامتان 𓂋𓋴 ويفترض فى الغالب انهما يخصان اسمه[١٢٥].

ومن الأسرة الخامسة وردت أسماء الملوك ساحورع على ختم اسطوانى وكاكاى (جدكارع اسس)[١٢٦]، وكذلك اسم الملك ونيس على قطعة من ألا لبستر، أما الأسرة السادسة فقد جاءت آثار عديدة تحمل أسماء من ملوكها مثل (نتى باسمه الحورى سحتب تاوى) وهى المرة الأولى التي جاء فيه أسمه، كذلك ورد أسم الملك بيبى الأول على قطعة من مائدة قرابين وكذلك على جزء من آنية وورد ذكره أيضا بلقبه الحورى مرى تاوى[١٢٧].

وفى الناحية المقابلة هناك أيضا إشارات تجدر الإشارة إليها جاءت من مصر وربما يكون أقدمها ذلك النشاط الكبير المشهور الذى قام به الملك سنفرو من احضار اخشاب الارز من لبنان لاستخدامها في منشآته وكذلك تكليفه بصناعة أربعين سفينة لمصر فى لبنان[١٢٨] والغريب أن أسمه لم يرد هناك فى جبيل رغم هذا النشاط التجارى الضخم مع جبيل. أما الملك خوفو وعلاقته التجارية بجبيل واستيراد الاخشاب منها فقد دل عليها مراكبه التى عثر عليها عند هرمه.

ثم جاء ذكرها لأول مرة فى النصوص المصرية فى عصر الأسرة السادسة[١٢٩] وجاء ذكرها بعد ذلك فى اشارة هامة جاءت على لسان بيبى نخت الذى ذكر ان قام بحملة ضد الاسيوين (ḫ3st ʿ3mw) بتكليف من الملك بيبى الثانى لاحضار (ربما رفات) اثنين من مبعوثيه وهما رئيس القوافل (عق نخت) والمعمارى (كاعبر) كان الملك قدأرسلهما إلى جبيل لصناعة سفن جبيلية فى لبنان لأجل رحلات بونت ،وقد قام الاسيويون بقتلهما ومهاجمه المجموعة المرافقة لهما وقد قام بيبى بالانتقام منهم[١٣٠].

---

[١٢٤] Ibid., p. 85

[١٢٥] Ibid., p. 86

[١٢٦] W.Helck. Op. cit., p. 26, Note 64.

[١٢٧] Montet, Op. cit., 87-89.

[١٢٨] عبد العزيز صالح، مصر والشرق الأدنى القديم. القاهرة ١٩٨١، ص ١١٣.

[١٢٩] Helck. Op. cit., p. 21

[١٣٠] Ibid;p.20;Alessandra Nibbi,The sea-people,Oxford, 1927,p.19(Urk.I,34).

ودلت إشارة هامة فى نص من عصر بيبى الأول على سفر موظفين مصريين فى رحلات منتظمة إلى جبيل حيث ذكر خنوم حتب فى نص بمقبرة خوى فى أسوان :

"المشرف على القاعة خنوم حتب، يقول ذهبت مع سيد(ى) الأمير حاكم الاختام تتى وخوى إلى جبيل وبونت " [١٣١].

وفى عصر الدولة الوسطى بلغت علاقات مصر وجبيل أوج ازدهارها ونشطت التجارة المتبادلة والنشاط المعمارى وانتشرت مظاهر الحضارة المصرية فى جبيل وتبادل ملوك مصر الهدايا مع حكام جبيل بل وأمكن تأريخ تسلسل بعض هؤلاء الحكام الجبيلين،بناء على ما عثر عليه من اثار مصرية فى مقابرهم، وترجع أهم المقابر المكتشفة هناك إلى عصر الدولة الوسطى، وكان امنمحات الثالث والرابع من اكثر الملوك الذين عثر على آثار لهم هناك وكان من أهم ما عثر عليه لهما قطعتان غاية فى الإبداع كانتا من بين الهدايا التى أرسلت إلى حاكمين من جبيل الأولى عبارة عن كأس من الابسيديان له إطار من الفضة والأخرى عبارة عن صندوق للحلى (لوحة٤) يحمل النقش التالى باللغة الهيروغليفية :

(فليحيا الإله الطيب رب الأرضين ملك مصر العليا والسفلى ماع خرورع المحبوب من اتوم رب اونو فليعطى الحياة مثل رع إلى الأبد) [١٣٢] وهو يخص امنمحات الرابع كما عثر على غطاء إناء من الجرانيت عليه سطر بالهيروغليفية لنفس الملك:

(فليحيا الإله الطيب ابن الشمس امنمحات ليحيى إلى الأبد)

ومن أواخر الدولة الوسطى جاء اسم الملك نفرحتب من الاسرة ١٣ على نقش عليه اسم حاكم جبيل [١٣٣].

وبعد أن تخلصت مصر من محنة الهكسوس وبدأ عصر الامبراطورية بدأت علاقات مصر بجبيل صفحة جديدة وازدهرت تجارة الأخشاب وصناعة السفن مرة أخرى وذروة ذلك ما تم فى عصر تحتمس الثالث ،الذى استخدم فى عبوره لنهر الفرات سفنا صنعت لأجل ذلك فى جبيل فيما جاء ذكره على لوحة بجبل برقل حيث قال انه أمر بصناعة هذه السفن عند جبل الإله قرب سيدة جبيل، وسرد تفاصيل ذلك

[١٣١] P. Newberry, Three old kingdom Travellers to Bybols and Pwenet, in JEA 24 (1928), p. 182 ff.

[١٣٢] P. Montet, Byblos., p. 111.

[١٣٣] Montet, Notes et Documents (kemi 1), p. 90 f.

وتفاصيل سحبها ونقلها براً أمامه [١٣٤].

ونعلم من الرحلات المتصلة التى كان يقوم بها رجال البلاط المصرى لهذا الغرض وغيره، ومن ذلك رحلة (سننفر) أحد كبار رجال البلاط فى عهد تحتمس الثالث إلى جبيل لإحضار هدايا وأخشاب من هناك [١٣٥].

ويرجع إلي هذه الفترة إنشاء معبد سيدة جبيل(ربما تجديده) وقد أشرف على أعمال البناء المشرف على الإنشاءات المدعو (مين مس) [١٣٦].

وفى عصر امنحتب الثانى توترت العلاقات حيث ذكرت مصادره مدينة جبيل ضمن المدن التى قهرها [١٣٧] وخلال عصر العمارنة حدثت فترة ركود كاملة فى العلاقات مع تقلص النشاط العسكرى المصرى فى المنطقة وقد تعرض جبيل خلال تلك الفترة لضغوط من قبل قوة (أمورو) الجديدة ونعلم تفاصيل ذلك من مراسلات العمارنة ورسائل حاكمها (رب ادى) الذى قتل فيما بعد على يد "ازيرو "حاكم أمورو [١٣٨].

وفى عصر الأسرة التاسعة عشر عادت العلاقات للازدهار من جديد وخصوصاً فى أيام حاكمها (احيرام) الذى عاصر رمسيس الثانى(*) الذى تبادل معه الهدايا وقد ذكرت المصادر أن رمسيس الثانى قد أسس مدينة تحمل اسمه فى وادى الأرز [١٣٩]. وفى خلال الأسرة العشرين تأثرت الأوضاع في المنطقة وفى جبيل بصفة خاصة بغزوات شعوب البحر التى غيرت الأوضاع في المنطقة وتأثرت العلاقات والمعاملات مع جبيل التى يبدو أن بعضا من جماعات شعوب البحر قد تمكنت من الوصول إلى الحكم فيها فيما يعكسه تقرير (ون آمون) الكاهن المصري الذى كلف من قبل (حريحور) لإحضار الأخشاب لمركب "آمون رع" من جبيل، ويظهر ذلك من اسم حاكمها "تشكر(زكر)" بعل وفى تلك الفترة سيطرت جماعات التشلكش على الملاحة في البحر المتوسط ومارست أعمال قرصنة فيه وهو ما يفسر المتاعب التى تعرض لها فى رحلته تلك وسنعود إلى ذلك .

ونستعرض فيما يلى أهم الآثار التي عثر عليها ونتعرف من خلالها على مظاهر الاتصال الحضارى بين مصر وجبيل، كشفت حفائر المعهد الفرنسى فى جبيل عن معبدين أحدهما مصرى والآخر سورى إلى جانب عشر مقابر خاصة بحكام جبيل وكبارها. وقد جاء من منطقة المعابد والمقابر آثار عديدة في غاية الأهمية كان لها أهميتها في تأريخ وتحديد تتابع عدد من حكام جبيل وإعطاء صورة عن علاقاتهم بمصر وخصوصاً أن مقابرهم في معظمها ظهر فيها الطابع

---

[١٣٤] A. Nibbi, Op. cit., p. 35 f.

[١٣٥] Montet, Op. cit., p. 8; K. Sethe, Urkunden der 18 Dyn.20 Band. Leipzig 1906, p. 534 ff.

[١٣٦] Montet, Byblos, p. 285.

[١٣٧] Montet, Byblos, p. 285.

[١٣٨] LÄ, I,p.890.

(*) وضعه Rollig تقريباً معاصراً لأواخر الأسرة العشرين انظر Ibid

[١٣٩] Montet, Ibid,285.

المصرى فى عادات الدفن وبعض التقاليد الفنية وكشفت عن شيوع استخدام اللغة المصرية على هذه الآثار [١٤٠] **ومن أهم هذه الآثار:**

القطعة رقم ٣٩٦ وهى بطاقة عليها نقش هيروغليفى جاء عليه اللقب المصرى "حامل الختم لملك مصر العليا والسفلى"، فى كتابة فريده بديلة للقب (نسوبيتى) كان استخدامها قد توقف بعد عصر الدولة القديمة[١٤١] .الكأس الذى أشونا إليه من قبل (جاء من المقبرة رقم ١) وهو يحمل اسم الملك "امنمحات الثالث" (نى ماعت رع) [١٤٢] وقد نقش عليه العلامتان (tpt) وتعنى درجة أولى كوصف لنوع الدهن الذى كان يحويه.

كذلك صندوق الحلى (مصنوع من الابسيديان ومطعم بالذهب) والخاص بالملك امنمحات الرابع (ماع خرورع)

وكانت هاتان القطعتان ضمن الهدايا التى أرسلها الملكان السابقان الى كل من (ايبشمو وابنه يبشمو إب حاكمى جبيل وكان اسمهما بالهيروغليفية قد رورد على سيف يخص الابن هكذا:

"امير كبنى جبيل يبشمو اب متجدد الحياة المولود من الامير ايبشمو صادق الصوت" وبناء على الأثرين السابقين فقد ثبت أن ايبشمو هو صاحب المقبرة رقم واحد ومعاصر لامنمحات الثالث، بينما ابنه (يبشمو اب) صاحب المقبرة رقم ٢، ومعاصر لامنمحات الرابع [١٤٣] وواضح من أسماءهما أن هذين الملكين هما من أصل سامى ، كما نلاحظ أن السيف الذى عليه النقش السابق يتخذ شكل السيف المصرى المعروف (خبش) ثم نتعرف من نقش آخر على اسمين لملكين أو أميرين آخرين من جبيل ورد من معبد جبيل وجاء فيه النص الثانى بالهيروغليفية منقوشا على يسار شخص جالس صور برداء كاس :

"رع حور آخنى"، فليبتهل إلى رع يومياً. أمير جبيل "ينتن" (يوناثان) متجدد الحياة المولود من الحاكم رين صادق الصوت[١٤٤] .

هذا النقش موجود فى مواجهة نقش لفرعون تبين من الحروف المتبقية من اسمه أنه الملك" نفرحتب الأول" من الأسرة الثالثة عشر و،من ثم أمكن أيضاً تحديد

---

[١٤٠] Ibid.

[١٤١] Montet, Byblos, p.113, pl.61

[١٤٢] Ibid., p.155-157.

[١٤٣] Ibid., p.174-176, pl..99.

[١٤٤] Montet. Notes et Document, p. 90-92.

تاريخ الحاكمين السابقين لجبيل (ينتن وأبيه رين) [١٤٥] ،وهما أيضا يبدوان من اسميهما أنهما من أصل سامى، ونلاحظ استخدماهما للألقاب المصرية وكذلك صيغ الدعوات والكتابة بالهيروغليفية.

ثم نتعرف من مصدرين آخرين على ملكين آخرين من ملوك جبيل لكنهما فى هذه المرة يحملان أسماء مصرية جاء على الأول وهو جزء من إناء من الألبستر (من المقبرة رقم٤)

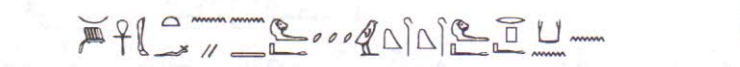

"إلى كا الأمير الوراثى والحاكم ملك الملوك حاكم كبنى ... متجدد الحياة صاحب الحظوة" [١٤٦] وعن طريق المصدر الثانى وهو عبارة عن جعران أمكن التعرف على الحاكم صاحب الاسم المفقود فى النص السابق وجاء هنا كاملاً بهذا الشكل :

وعليه يكون اسم هذا الملك (مجدو تبتى ايتف (الذى يطأ على صندل أبيه ،واسم ابيه هو (أمبى) بل وأمكن أيضاً تحديد اسم أمه وهو "سات وسر" ورغم ضآلة هذين الأثرين إلا أن لهما دلالات هامة ،فأولا نلاحظ أن الملكين وكذلك الأم يحملون أسماء مصرية مما يدل على أنهما من أصل مصرى أو على الأقل أبناء مصريين استطاعوا أن يصلوا إلى العرش وحكم جبيل، ونلاحظ أيضا أن الملك الابن قد تمتع بسلطان واسع وكانت له سلطة على حكام البلاد السورية الأخرى وهو ما يدل عليه لقبه ملك الملوك ،أما تاريخهما فيرجح انهما قد حكما معاصرين لعصر الأسرة ١٢ (ربما النصف الثانى منها) .ثم تأتى إشارة فريدة على قطعة من إناء (رقم ٨٦٢) جاء عليها لفظ: وتقرأ غالباً (حقا خاسوت) (حاكم البلاد الاجنبية)، ووجود هذه القطعة يبدو غير مألوف ،فى جبيل فالمعروف أن المصادر المصرية كانت تلقب حكام جبيل بلقب الحاكم أو الأمير (ḥ3ty-c) تمييزاً لهم عن بقية حكام المدن السورية الأخرى الذين كانت تشير إليهم بلقب ḥk3 ḫ3swt.[١٤٧]

ثم تمدنا القطعتان رقم ٨٢٥ ، ٨٥٣ باسمى ملكين وضعا داخل خراطيش ملكية الأول ذكر باسم (اب) فقط والثانى ذكر باسم (ابشمو) وهذان الملكان يحتمل أن يكونا ملكين أخريين غير الذين ذكرا من قبل، أو أن تكون هذه الأسماء هي أسماء مختصرة لنفس الملكين[١٤٨] .

ثم تقدم لنا المقبرة "رقم ٥" والخاصة بأحيرام المعاصر لرمسيس الثاني عدداً من الدلالات الهامة في إطار هذا الاتصال الحضاري . ويعد" احيرام "واحداً من أشهر ملوك جبيل وكانت بينه وبين رمسيس الثاني صلات وهدايا متبادلة ومن بينها إناء من الألبستر يحمل خرطوش رمسيس الثاني عثر علية في المقبرة "رقم ٥ [١٤٩] .

---

[١٤٥] Ibid., p. 90. f.

[١٤٦] Montet, Byblos, p.196-199.

[١٤٧] LÁ,Op,cit.

[١٤٨] Montet, Op. cit.,p.212,.

[١٤٩] Ibid., pls. Vol., pl. 142

وقد تمثلت بعض المظاهر الحضارية المصرية في أكثر من صورة في هذه المقبرة وبالأخص علي التابوت الخاص بإحيرام والذي صنعة ابنه "إتو بعل" حاكم جوبلا مسجلاً ذلك عليه في نقش بالفينيقية . فنجد مثلاً أن صانع التابوت قد زخرف إفريزه بعنصر مصري يتكون من براعم اللوتس المفتوحة و المغلقة بالتبادل ، ثم نجد علي أحد جانبيه الطويلين منظر يمثل حاملات القرابين و هن يتقدمن في موكب له ما يماثله في منظر المقابر المصرية .

و على أحد الجانبين القصيرتين تصوير لأربعة من النساء اثنتان تضربان علي رأسهما بأيدهما و اثنتان يديهما عند الصدر ربما يضربن علي الأكف أو علي الصدر (لوحة ٥) ، و منظر وضع اليد علي الرأس منظر تقليدي معروف في مناظر الجنازة المصرية (مثلما في مقبرة نب آمون) [١٥٠] ، و اتخذت النساء تسريحة شعر تماثل الطريقة المصرية و تكرر ذلك أيضاً في تسريحة امرأتان في تمثال مجموعة بينهما رجل عثر عليه في المعبد السوري تذكرنا بتسريحة شعر الملكة نفرت زوجة سنوسرت الثاني [١٥١] ، ثم منظر أحيرام و هو جالس علي عرشه و أمامه مائدة قرابين و يتقدم إليه أتباعه بنفس النمط المصري الذي يصور فيه المتوفى أمام مائدة القرابين ، لكن مع المحافظة علي الطابع المحلي في الملابس و الأثاث (لوحة ٦) .

و بقي من الآثار ذات الدلالة الهامة تمثالان (أجزاء من تمثالين) من العصر المتأخر من الأسرة الثانية و العشرين، الأول يخص شاشانق الأول (رقم ٣١) و قد كرسه ملك جبيل أبي بعل مهدياً إياه إلي بعلت جبيل و بعل جبيل و سجل إهداءه تكريماً للملك المصري في ثلاثة سطور بالفينيقية قائلاً " تمثال قدمه أبي بعل حاكم جبيل في مصر (من مصر؟) إلي بعلت جبيل لكي تطول أيام أبي بعل و سنوات (حكمه) علي جبيل [١٥٢] .

ثم يتكرر نفس الأمر مع إبنه الملك " إيلي بعل " الذي أهدي تمثالاً رائعاً لأوسركون الأول (من حجر مصري و صنعة مصرية) أيضاً إلي بعلت جبيل ذاكراً ذلك بالفينيقية : " تمثال صنعه إلي بعل إلي بعلت جبيل بنفسه لكي تطول أيامه و سنوات حكم إلي بعل علي جبيل [١٥٣] (لوحة ٧) .

وتحمل القطعة رقم ٢٢ نقشاً فينيقياً هاماً للملك يهافيميليك (yehavemelek) على لوحة تمثله مرتدياً رداءاً سامياً وهو يقدم قرباناً إلى إلهة (هي حتحور) اسفل الشمس المجنحة [١٥٤] (لوحة رقم ٨ شكل رقم ٢).

هذا بعض من العديد من الآثار التي عثر عليها فى جبيل وتعكس بصورة واضحة نواحى ومظاهر الاتصال الحضارى.

---

[١٥٠] Ibid., p. 230 f , pls. 128, 130,131.

[١٥١] Ibid., p. 47 , pl 35, Nr. 23.s

[١٥٢] Ibid., p. 54 . Note3, p.57.

[١٥٣] Ibid., p. 49,51 (Note 1) , p.52.

[١٥٤] Ibid., p.41 f fig. 10 .

وإلى جانب الآثار هناك أيضا بعض النصوص الهامة التى يمكن أن نستخلص منها بعض الدلالات عن الصلات بين مصر وجبيل، ولعل أهمها في هذا الصدد هو تقرير "ونآمون" الذي جاءت الإشارة إليه من قبل :

فى فقرة فريدة فى هذا النص نرى "ونامون" بعد أن استقر فى إحدى المدن الساحلية اللبنانية بعد مطاردة من قراصنة الشكلش إثر مغادرته لجبيل وقد استوقف حاكمه مدينة إلسا (الالشية) وكانت امرأة تدعى حاتبا (خاطبة؟) طالبا نجدتها ولم يكم يفهم لغة أهلها فقال مخاطبا اياهم 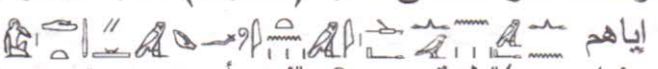 "آلا يوجد أحد بينكم يفهم (حرفيا يسمع)" لغة مصر؟ "فرد أحدهم 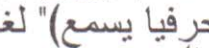 أنا افهم فقلت له قل لسيدتك [١٥٥]"

هذه الفقرة بما فيها من صور تعبيرية حية تدل بوضوح على أن اللغة المصرية كانت شائعة فى الساحل اللبنانى وحتى فى هذه المدينة التى تبدو حاكمتها على غير صلة بمصر ولا تعرف اللغة المصرية (ربما كانت من المستوطنين الجدد الذى وصلوا للحكم) لم يعدم ونآمون من يعرف المصرية. ونلاحظ على العكس أن حاكم جبيل "تشكر بعل" كان يعرف المصرية ويتحدث بها مباشرة مع ونآمون وان كانت له بعض أخطائه اللغوية التى سجلها ونآمون حرفيا فى تقريره [١٥٦]. وتخبرنا فقرة أخرى من نفس النص عن شخص مصرى (آو ربما يحمل فقط اسما مصريا) اسمه (با أن امون) كان يعمل كبيرا للخدم لدى تشكر (ذكر) بعل حاكم جبيل وقد تعمد فى إحدى المناسبات الإساءة إلى ونآمون حينما سقط ظل المظلة الخاصة بحاكم جبيل على ونآمون فقال ممالئسة لمولاة "لقد سقط ظل الفرعون سيدك عليك" فغضب الحاكم منه ونهره قائلا احتفظ بذلك لنفسك أو(خليك فى نفسك) [١٥٧] وكأنما استحضر قدر ومكانة فرعون مصر.

ثم نعلم من إشارة فريدة أيضا من نفس النص بوجود مغنية مصرية كانت موجودة فى بلاط" تشكر بعل" وكان قد طلب منها بأن تغنى" ل ون آمون" وتسرى عنه بعد أن كان الحزن واليأس قد تملك منه فجاء ذلك على لسان ونآمون:-

فامر باحضار تانتنيوت إلي وهى مغنية من مصر كانت لديه قائلا غنس له " ولا تجعلى قلبه يحزن " [١٥٨].

وعلى سبيل الذكر نعلم من بردية Bologne 1094 عن مغنية لامون كانت تعيش فى مدينة اسمها (تامخربت) ذكر Camions أن مكانها غير معروف [١٥٩] وان كان Lincke قد قربها من مدينة مقربت مكانها الحالي ربما عند خرائب مدينة مكرب على مسيرة أربع ساعات و نصف إلى الغرب من النهاية الجنوبية للبحر

---

[١٥٥] Gardiner , Late Egyptian Stories, Bib . I, Bruxelles 1932, 5 , 6 (Wenamun 2 , 77 , 78).

[١٥٦] H.Satzinger , How good was Tjeker-Bacal`s Egyptian , in Ling-Aeg. 5, Göttinen 1997, pp. 171-176.

[١٥٧] Gardiner , Op. cit., 71 , 11-14 (Wenamun 2, 45-2,47.

[١٥٨] Ibid., 74, 5-7 (Wenamun 2,68,69)

[١٥٩] R. Caminos, Late Egyptian Miscellamies, London 1954,p. Bologne 1094, 7, 9, p.22.

الميت[١٦٠] وان صح ذلك فهى تقع تقريبا فى الجزء الجنوبى من الساحل اللبنانى ويفهم من النص انها كانت تعيش هناك مع بعض المصريين من بينهم قائد مركبة رمسيس الثانى كما جاء فى رسالتها إلى أحد معارفها فى بر رمسيس[١٦١].

ثم يقدم لنا تقرير ونآمون إشارة أخيرة ونادرة تفيد بأن هناك عدداً من المصريين قد عاشوا فى جبيل زمنا طويلا وماتوا ودفنوا هناك وجاء ذكر ذلك فى فقرة على لسان حاكم جبيل أراد بها أن يبين حسن معاملته "لون آمون" فقال: انا لم اعمل لك مثلما عمل لرسل خع أم واسه

عندما مكثوا سبعة عشر عاما فى هذا البلد حتى ماتوا فى امكانهم) ثم قال لرئيس خدمه: خذه،دعه يرى مقابرهم التى يرقدون فيها[١٦٢].

وتكتمل الصورة فى الناحية المقابلة حينما نعلم بأن كاهناً من جبيل كان يعمل كاهنا لبعل وعشترث عاش فى مصر فى عصر أمنحتب الرابع ومات ودفن فى مصر ووجدت مقبرته فى سقارة وكان اسمه (سلبيبينا الذى يقال له ايبى)[١٦٣].

وقد عثر له على أثار في مقبرة احيرام من بينها بطاقة من العاج صور عليها أسد وعنقاء يهاجمان ثوراً (بمتحف برلين) وتجدر الإشارة هنا إلى شيوع استخدام عنصر العنقاء في هذه الفترة في النماذج المصرية والتي عرفت باسم ḫḥ فى المصادر المصرية وارتبطت باله الحرب مونتو ويرى مونتيه اصل عنصر العنقاء فى بلاد الشام وانتقل تأثيره من هناك إلى مصر وشاع فى تلك الفترة[١٦٤].

ونذكر اخيراً أن اسم كبنى قد دخل في تركيب بعض الأسماء المصرية ونذكر منها Nb(t) - kbny مرضعة سات أمون في عصر تحتمس الثالث[١٦٥].

وننتقل فى النهاية إلى جانب أخير من جوانب الاتصال الحضارى ألا وهو الديانة ، فقد عرفنا من قبل بوجود معبد مصرى فى جبيل هذا المعبد يرجع تاريخه بناء على أسماء الملوك الذين عثر على آثار لهم، إلى الفترة ما بين منتصف الأسرة الخامسة إلى منتصف الأسرة السادسة[١٦٦]، وان كانت الدلائل تشير إلى انه اقدم من ذلك، هذا المعبد ربما كان مكرساً لعبادة الآلهة حتحور التى عرفت فى جبيل بلقب سيدة جبيل وهو لقب عرفت به لاول مرة فى متون التوابيت[١٦٧] ،وان كان ظهورها

---

[١٦٠] A. Lincke , Korrespondenzen aus der Ramessiden , Leipzig1878, p.2 .

[١٦١] Gardiner , LEM 7, 8-9 (p. Bologne 1094, 7,8 –7,9).

[١٦٢] Gardiner , LES , 72,5-8 (Wenamun 2, 51-2, 53).

[١٦٣] Montet, Op. cit.,p.213.

[١٦٤] Ibid., p. 220 ff.

[١٦٥] Ibid., p. 280 ff.

[١٦٦] W.Albright, The date of the foundation of the early Temple of Byblos , in ZzAS 62 (1926), p. 63.

[١٦٧] Helck, Op. cit., p. 21.

بهذه التسمية يفترض انه يرجع على الأقل للدولة القديمة. ويحتمل أنها توحدت مع الآلهة المحلية فى جبيل (بعلت جبال) وان الاسم المصرى nbt kpn سيد جبيل هو ترجمة للاسم الكنعاني[١٦٨] ، وان كان ما عثر عليه من أثار لها في المعبد المصوي يشير بوضوح الى الإلهة حتحور بلقبها "سيدة جبيل "وبالطبع بسمات محلية هذه الآثار ترجع في معظمها إلى عصر الدولة القديمة مما يزكى قدم عبادتها فى جبيل.

من بين ذلك نقش غائر على لوحتين متماثلتين يصور ملكاً راكعاً يقدم انائين قربانا إلى الإلهة حتحور التى مثلت برأس لبؤة تمسك بيدها صولجاناً وعلى رأسها قرنا حتحور بينهما قرص الشمس وبينهما نقش فى مواجهة الملك يقول "المحبوب من حتحور ربة جبيل" وفوق الملك خرطوشان ممحوان

يخصان قي الغالب الملك بيبى الأول أو بيبى الثاني[١٦٩] (لوحة ٨ شكل ١) ، نقش آخر صورت عليه سيدة جبيل وهى تحتضن ملكاً[١٧٠] ، ثم هناك تمثال لها عثر عليه فى المعبد المصرى بمثلها وهى جالسة ويرجع الى عصر الدولة القديمة[١٧١] .

و هناك جزء من تمثال من الالبستر عليه نقش بالهيروغليفية يذكر بعض صفات سيدة جبيل[١٧٢] (nbt ỉ3mt rsyt m twfy) ربة الحسن (وربة) الجنوب فى احراش البردى هناك أيضا لوحة (بهافيميليك) حاكم جبيل المشار اليه من قبل وقد صور عليها مرتديا رداءاً ساميا ويقدم قرباناً إلى حتحور أسفل الشمس المجنحة وقد صورت بشكل محلى يختلف قليلاً عن الشكل المصري[١٧٣] (لوحة ٨ شكل ٢) وفوق ذلك فقد عثر على تمثال يخص أحد كهنتها[١٧٤] هذه المرة في المعبد السوري. و كان هذا بعضًا من آثار عديدة عثر عليها للإلهة حتحور فى المعبد المصري .

أما في المعبد السوري أو الفينيقي فقد جاءت الإشارة إلى "بعلت جبيل" وذلك فى نص إلى بعل الذى أهدى فيه تمثال أوسركون إليها وكذلك نص أبيه " أبى بعل " وإهداءه تمثال شاشانق اليها[١٧٥] واللذان سبق ذكرهما من قبل . ولعل الإشارة اليهاباسم بعلت جبيل ربما جاءت مرتبطة بورودها فى نص بالفينيقية .

غير أن هذه العلاقة الروحية والتأثير الدينى لم تكن فى الواقع من طرف واحد بل هناك ما يشير فى الناحية المقابلة إلى ظهور آلهه من جبيل فى مصادر الديانة المصرية بنفس دور وقدر الآلهة المصرية ، فقد ورد فى متون الأهرام ذكر إله

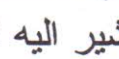

ḥ'i-t3(w) أشير اليه انه يقطن فى مناطق الغابات فى لبنان وقد جاء ذكره فى تتعلق برحلة الملك الى السماء وتوحده مع عديد من الآلهة ومن

---

[١٦٨] R. Giveon, 0p. cit., p. 61.

[١٦٩] Mmontet, Op. cit., p. 35-37.

[١٧٠] Ibid., p.38, Nr. 12.

[١٧١] Ibid., p. 39 Nr. 13 pls. 29 , 30.

[١٧٢] Ibid., p. 39 f.

[١٧٣] Ibid., p. 41 f, Nr . 22 fig. 10.

[١٧٤] Ibid., p. 57 , Nr 32 , pl. 35.

[١٧٥] Ibid., p. 49 , 52.

بينها "خعى تاو " وجاء ذكره فى نفس الوقت على خاتم من جبيل يخص حاكما آخر لجبيل عرف هنا لأول مرة واسمه عم ؟ وذكر صلته بمجموعة من آلهة جبيل ومن بينها" خعى تاو" [١٧٦] :

"المحبوب من بعل ، ابن شمس الجبل ،الممدوح من الأسد ابن اله الجبل ،الممدوح من بعلت ، فوق الأسدين فى جبيل عم (؟) المحبوب من خعى تاو له الحياة لأبد. هذا الخاتم يعطينا فىنفس الوقت فكره عن مجموعة الآلهة فى جبيل وأسمائها[١٧٧] .

وعرفت جبيل أيضا عباده الشمس واتخذت لها معبوداً هو صورة محلية وخاصة لاله الشمس رع وأطلق عليه تمييزا عن اله الشمس المصرى اسم شمس البلاد الجبلية المرتفعة وكذلك 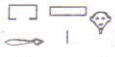 "رع" (الشمس) الموجود على بحيرة الفرعون ، وابن هذا الاله هو اله جبيل وقد صور بشكل بشرى له رأس أسد ويعلو رأسه قرص الشمس بين القرنين[١٧٨] .

ونختم فى النهاية بفقرة فريدة يمدنا بها أيضا تقرير ونآمون وتلخص لنا بشكل مثير شكل وطبيعة العلاقات ومظاهر الاتصال الحضارى بين مصر وجبيل فقد جاء على لسان " تشكر بعل فى حواره الأخى مع ونآمون " ... ذلك أن آمون يجعل الرعد فى السماء طالما أنه يجلس ست إلى جانبه . حقا لقد خلق أمون كل البلاد . لقد خلقها من بعد أن خلق مصر التي جئت منها . إن الفن قد جاء منها إلى هنا ، حيث أكون (جبيل) والمعرفة قد جاءت منها إلى هنا، حيث أكون، فلم (إذن) هذه الرحلة الحمقاء التى قمت بها[١٧٩] ؟

بهذه الكلمات صور حاكم جبيل العلاقة بين مصر ممثله فى آمون ملك الآلهة وجبيل ممثلة في ست نظير بعل الى جواره ، وعبر عن إدراكه لدور مصر التى اعتبرها أصل الفن / الحضارة (mnḫ*) و المعرفة (sbȝ) ، نفس ما ردده الإغريق و الرومان فيما بعد[١٨٠] و عبر في نفس الوقت بقوله أن أمون يطلق الرعد في السماء طالما يجلس ست (بعل) إلي جواره بمعني آخر أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك في غير وجود ست – عن أن مصر لا غني لها عن جبيل .

خلاصة

لعله قد تبين من خلال الدراسة السابقة التي تناولت بالبحث أربعاً من المدن الحدودية الهامة (بوهن ، ثارو ، عتيقة و جبيل) أن هذه المدن قد مثلت بالفعل مناطق نموذجية للالتقاء الحضاري بين المجموعات السكانية المختلفة المستقرة و الوافدة ، و أنها مناطق أخذ و عطاء و تأثير و تأثر، و أن هذا التداخل الحضاري لا يرتبط

---

[١٧٦] Helck, Op. cit., p. 21 f, Montet, Op. cit., p. 288 , 289.

[١٧٧] Helck, Op. cit., p.21f, Montet, Op. cit., p. 62 ff, Nr. 42 pl. 39.

[١٧٨] Ibid., p. 287.

[١٧٩] Gardiner, LES 68, 15 – 69 (Wenamun).

* لعل معني حضارة لكلمةmnḫ يكون ملائما فهي تعني الرفاهية و الإبداع .

[١٨٠] A. Egberts, Double Dutch in the Report of Wenamun, in GM 172 (1979) p. 21.

بهيمنة عسكرية أو سياسية و رأينا مثلا حيا علي ذلك في التطور الحضاري في بوهن خلال عصر الانتقال الثاني، و التى أخذ سكانها من المحليين بتقاليد الحضارة المصرية و مظاهرها خلاله في وقت اتسم بضعف النفوذ السياسي و الوجود العسكري المصري فيها، و العكس كان خلال عصر الدولة الوسطى .كما أن هذا الامتزاج السكاني و الحضاري كان في الواقع قوة الدفع الأساسية التي وضعت سكان هذه المدن في مستوى حضاري و رفاهية مادية لا تقل عن المراكز الحضارية الرئيسية، كما رأينا في جبيل و بوهن قوة جديدة .و أخيرا فإن هذا الاتصال الحضاري قد امتد و شمل كافة الجوانب الحضارية بدءا من التداخل الاجتماعى من زواج و مصاهرة و حتى الاستقرار الكامل مرورا بتبادل الإبداعات الفنية وتبنيها إلي الاتصال و التفاهم اللغوي ،و حتى التداخل الديني و المشاركة في العبادة و التقريب بين خصائص الأرباب و توحيدها، مثلما هو الحال بين ست و بعل و حتحور و بعلت و غيرهم و كان كل ذلك يتحقق و يبلغ ذروته في تلك الأوقات التي كان يسود فيها السلام بين دول المنطقة .

لوحة ١

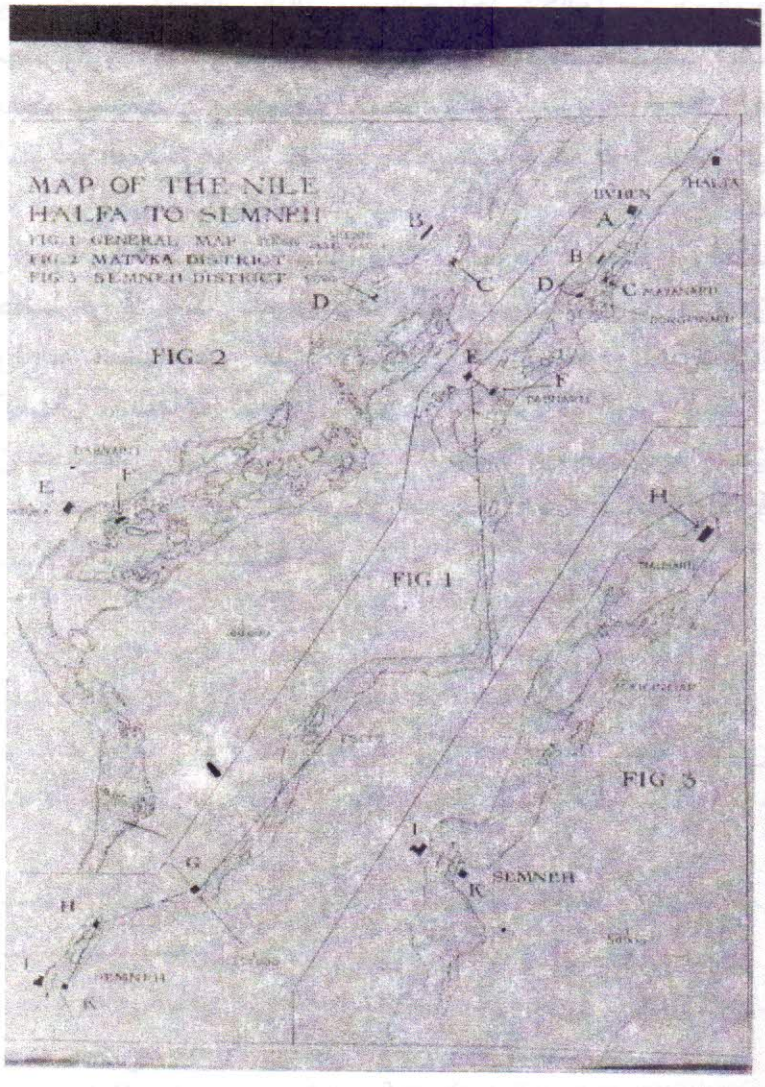

شكل ١

شكل ٢

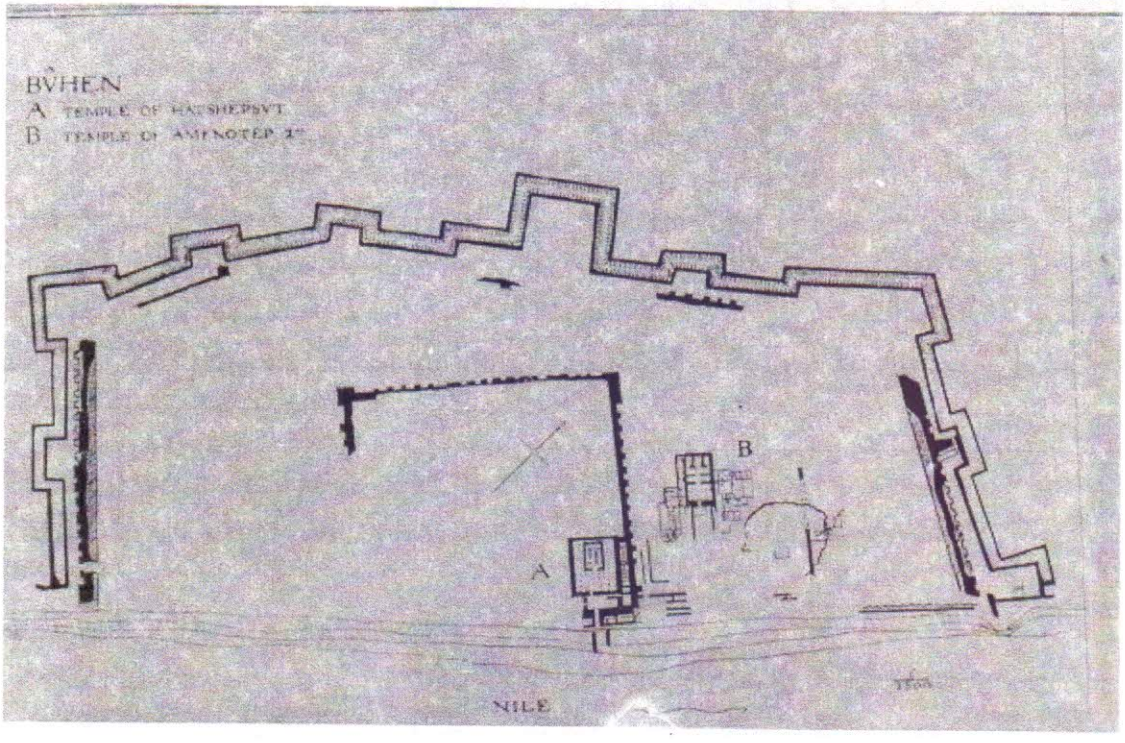

لوحة ٢

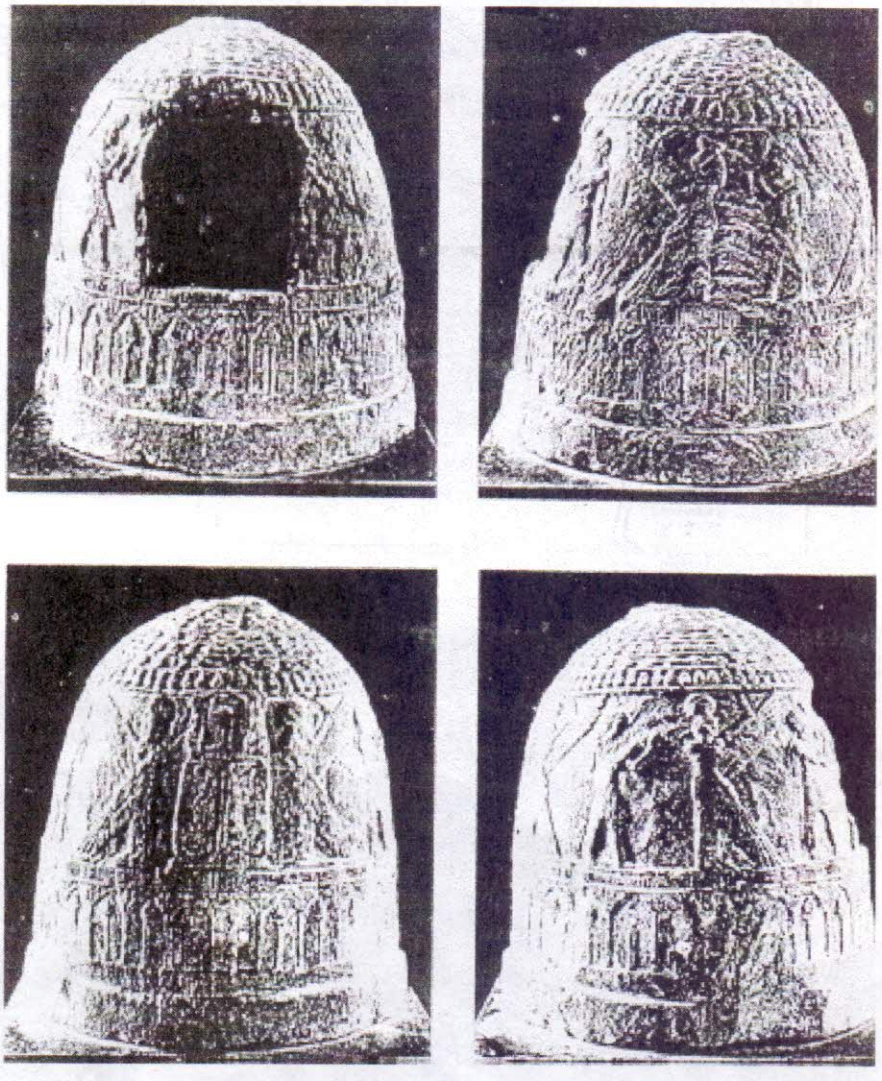

لوحة ٣

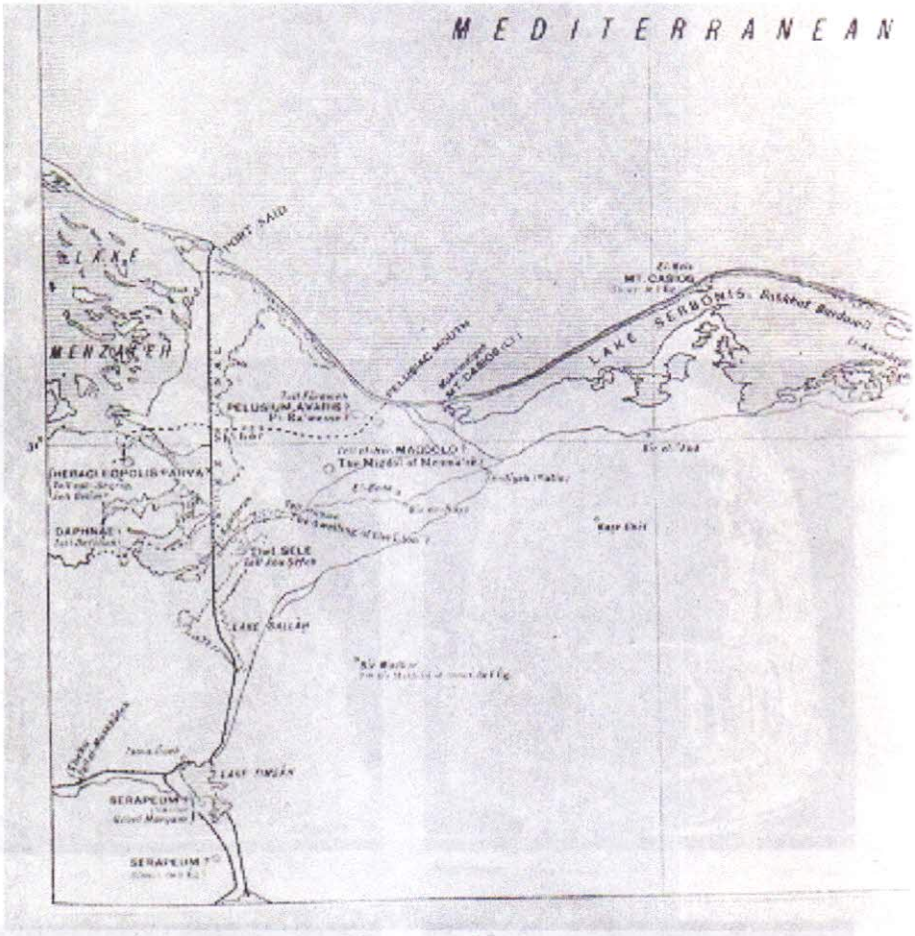
MEDITERRANEAN
PORT SAID
LAKE MENZALEH
PELUSIUM (AVARIS)
HERACLEOPOLIS (TAHYA)
DAPHNAE
Tell SELE
LAKE SERBONIS
SERAPEUM
SERAPEUM

لوحة ٤

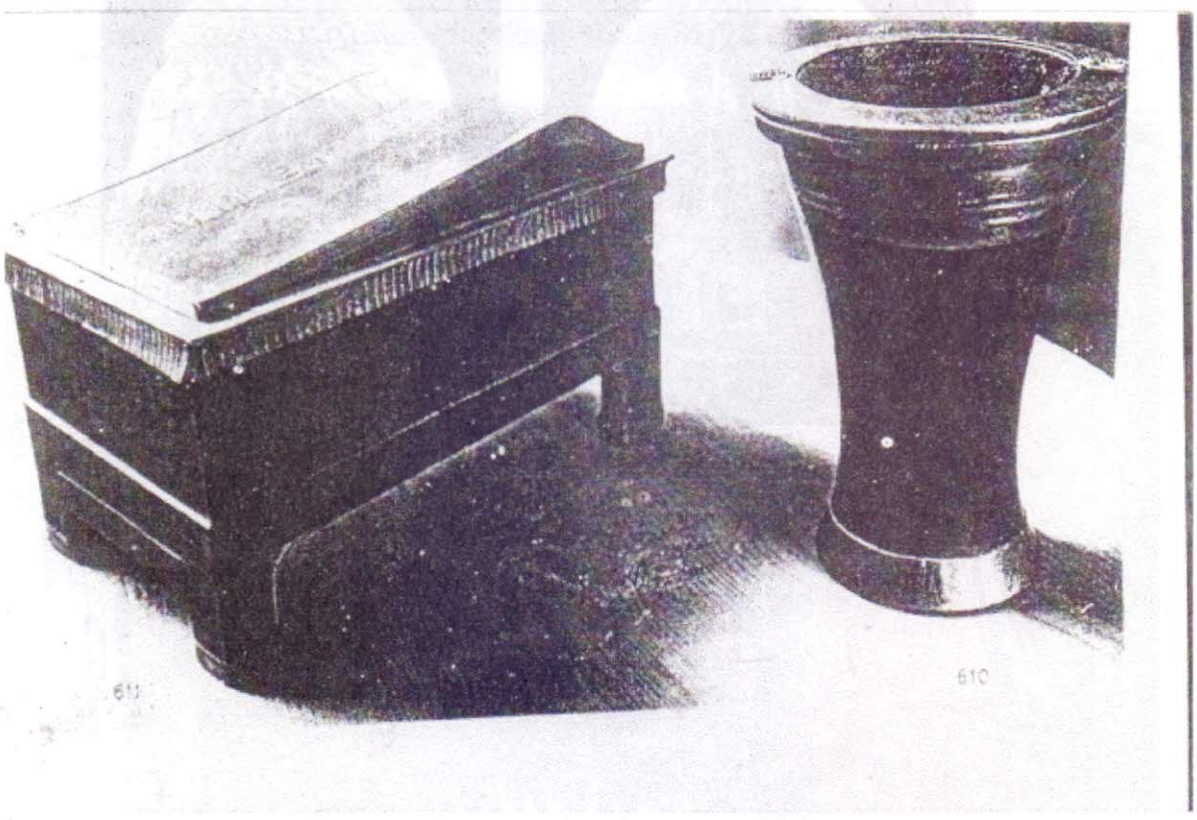
610
610

لوحة ٥

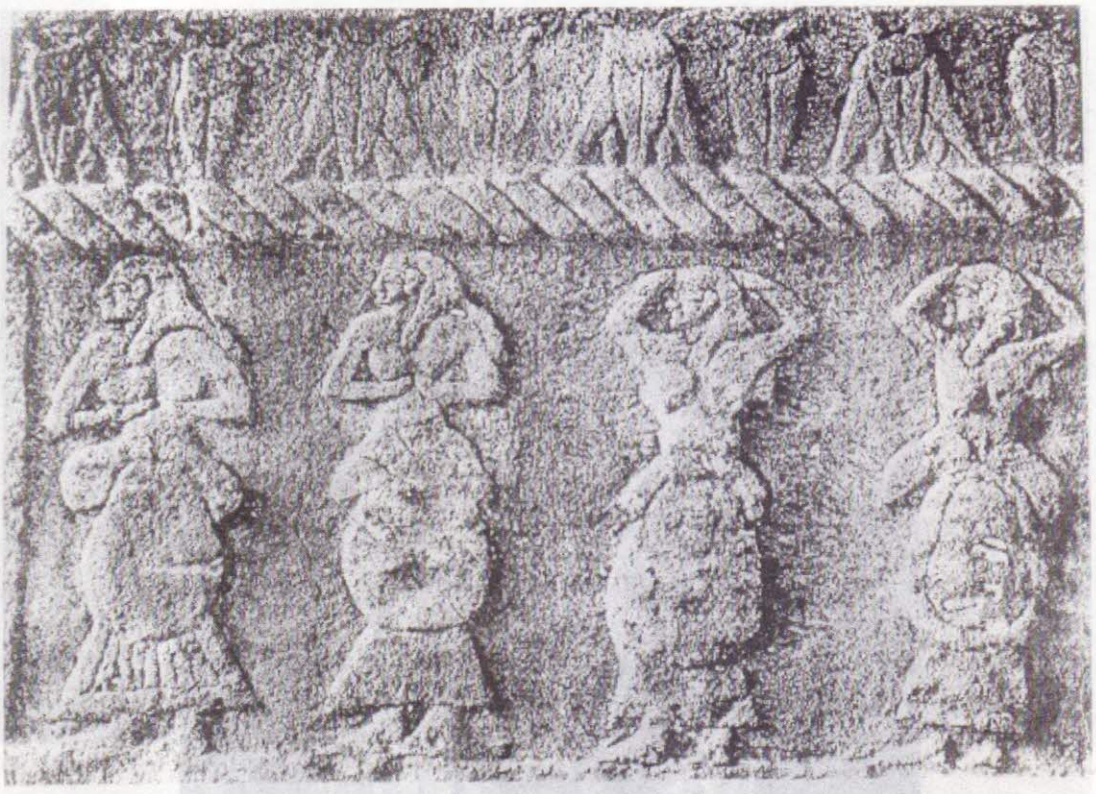

لوحة ٦

لوحة ٧

لوحة ٨

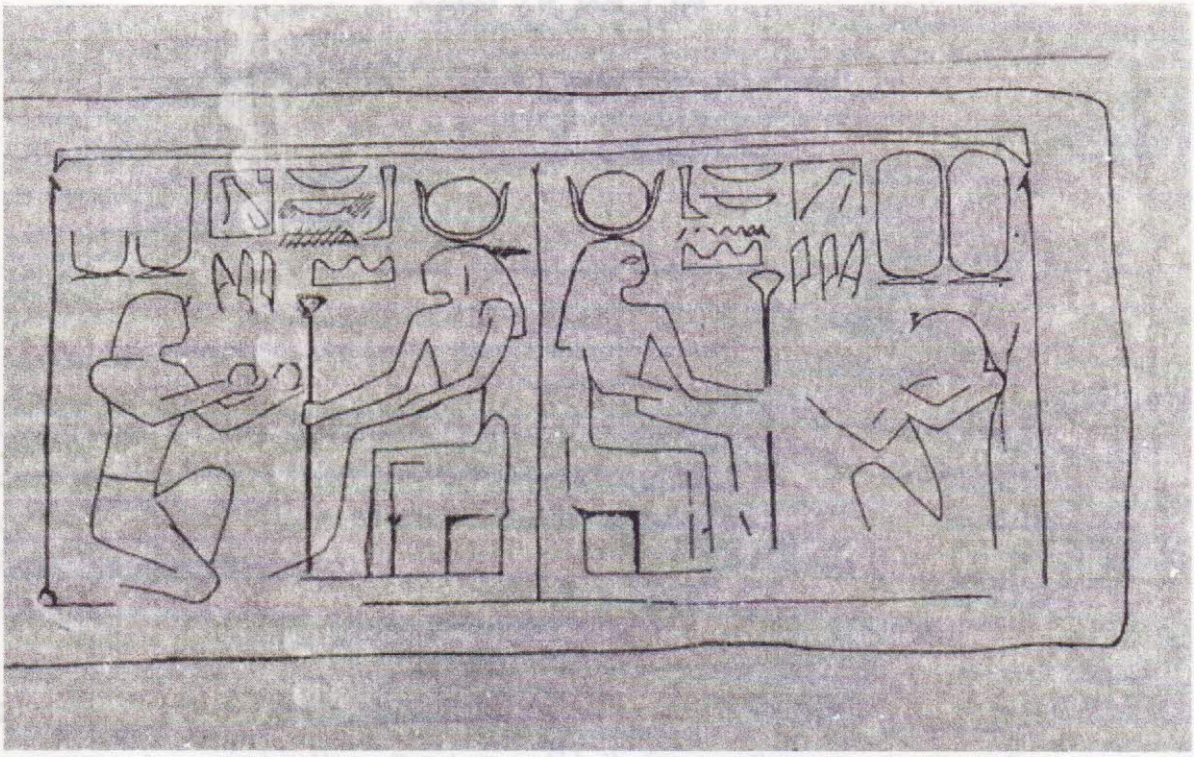

شكل ١

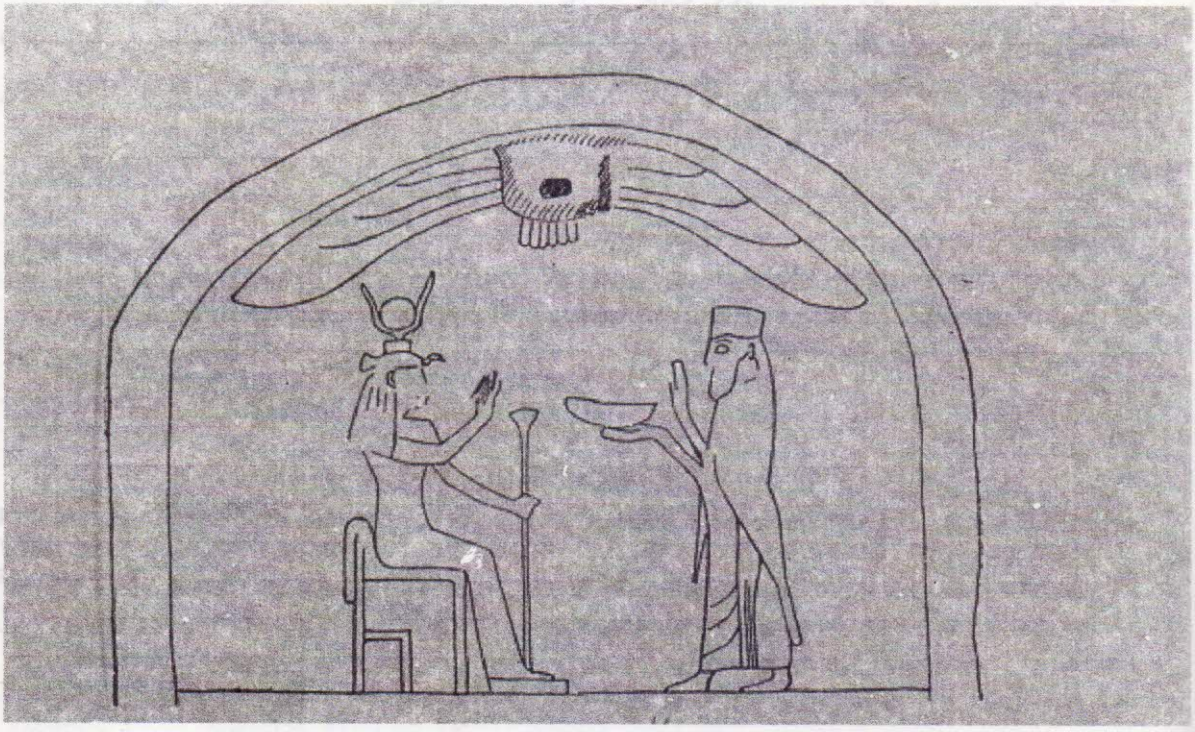

شكل ٢